عبير

ظلال الماضي

www.elromancia.com

مرمورية

1

روايات الأجيال الرومانسية

عبير

AL AMEEN ROMANCE ABER No. 1

ظلال الماضي

لم تكن تتوقع ، كلير ، أبدا بعد أن بادلت ، جيمس ، الحب لمدة تسعة أشهر ، أن يكون متزوجا ، فتركت قصره الجميل ، وحاولت الانشغال بعملها الجديد بعيدا عنه . حتى أختها ، چاكى ، لفتت نظرها إلى أنه ربما يكون ، تونى ، - رئيسها فى العمل الجديد - قد أعجب بها .

كما حاول ، ستيفن ، أن يوقع ، كلير ، فى حبه ، ولكن ، جيمس ، ظل يطاردها ويلاحقها فى كل مكان .

ترى .. هل حدثها عن ظلال ماضيه ؟ وهل ارتضاها زوجة له فى النهاية ؟!.

دار الأمين طباعة .. نشر .. توزيع DAR AL AMEEN

٨ شارع أبو المعالي (خلف المعهد البريطاني) العجوزة ☎ ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفي) القاهرة ☎ ٩٣٢٧٠٦

الفصل الأول

ارتعشت يد كلير . لا بد وأنه يوجد خطأ ما . خطأ بشع . حتى التفكير بهذا الشكل لم يعطها أى إحساس بالارتياح . جلست على مقعد من الجلد بجانب النافذة ينتابها شعور بالضيق .

أسندت رأسها فى كف يدها بينما عيناها تتجولان فى غرفة المكتب . غرفة صغيرة رائعة حقاً ، ولكن عينيها لم تره حقيقة .

لابد وأن تنتظره فهو على وشك الحضور فى أى لحظة وسيبرر لها كل شىء . تنفست الصعداء عندما فكرت فى هذا فرجعت بظهرها على المقعد واسترخت قليلاً وهى مغمضة العينين .

فى الخارج كان الليل شديد الظلمة وقارس البرودة . إنه شهر مارس وهو حقاً شديد البرودة ، ويؤكد خبراء الأرصاد مراراً وتكراراً بأنهم لم يروا ربيعاً بهذا السوء منذ فترة طويلة .

على أية حال ، كانت غرفة المكتب دافئة كما هو الحال فى المكان كله . ولقد سبق و أدهشها ذلك عندما حضرت إلى منزل " فريلتون " الكبير تقريباً من عام مضى . هذا المنزل الريفى الكبير ليس مجرد منزلاً ريفياً يخطف الأبصار بجماله الخارجى، وقِدَمه من الداخل .

لا . فرَجُل مثل " جيمس فورستر " يحب كل وسائل الراحة بمنزله فهو رجل واسع الثروة لدرجة تسمح له بذلك بمجرد الإشارة بإصبعه .

* * *

أمضت فترة طويلة سارحة بتفكيرها فى جمال الأثاث والذوق الرفيع فى كل ركن بالمنزل ، لكنها الآن تتطلع إلى الصورة الصغيرة الحجم والقابضة عليها بكلتا يديها . انتهى لديها إحساس مرح الشباب ولا بد لها من التيقن والاعتراف لنفسها بأن نظرة التفاؤل لديها لا وجود لها فى هذا الوقت .

وأن " جيمس " سيفسّر لها وجود هذه الشقراء بين ذراعيه فى الصورة وهى مرتدية طاقم عاجىّ اللون وممسكة بباقة ورود .

تلك المرأة بجانبه - وهو ذو وسامة سمراء قاسية - تبدو مثل فتاة ، طويلة ، شاحبة ، وذات جمال بارد غريب .

تقلّصت أصابع كلير حول الصورة فقد وجدت نفسها تتنفس بسرعة وعصبية مثل حيوان برّى صغير وقد وقع فى فخ فجأة على غرّة .

لربما هذا الإحساس الفجائى بالمرارة تفجّر بها نتيجة لمجموعة من الأحاسيس قد تجمعت لديها طوال فترة التسعة شهور الماضية، والتى بدأت منذ أن عاشرته فيها .

وجمالها ليس جمالاً صارخاً . و شخص مثل " جيمس فورستر" يمكنه الحصول على أية امرأة بمجرد الإشارة . فـ " كلير " ذات شعر بنى مجّعد وعينين زرقاوين وبشرة شاحبة فهى امرأة سمراء، لن تكتسب أبداً سمرة الشمس ، وكذلك بالتأكيد فهى ليست غنية تعيش فى رفاهية أو من العالم الآخر القوى ، فجذورها متواضعة . كلا والديها مدرسان وكلاهما الآن متقاعدان يعيشان فى قلب " ديفون " بأمان بعيداً عن عالم العقارات والأسهم ، والمحاربة والمنافسة فى الغابة .

* * *

وهذا ما جعلها تنظر إلى الصورة التى بيديها مرة أخرى وتسأل نفسها عن نوع علاقتها بـ " جيمس " . وإلى أى مدى ستمضى ؟ . هى تحبه بجنون وهى تعرف أنه مغرم بها ومنجذب إليها . وهذا كله واضح فى وهج عينيه عند وجودهما سوياً . وهو يكتفى بذلك . فهو لا يريدُ أى ارتباط شرعىّ كل هذا لا يحتاج إلى تفسير أو شرح . فهو واضح فى كل لمسة وكل عناق والذى لا يصاحبه أى اعتراف بأى حب والتى تتوق هى إلى سماعه . هذا الإحساس غير ملموس ولكنه موجود بقوة كالهواء الذى تتنفسه .

www.elromancia.com

ولمدة تسعة أشهر وحتى الآن ، وبشعور من عدم الارتياح ، لعبت اللعبة بقوانينه التى وضعها . ولكن الآن وبينما هى تنظر إلى الصورة التى بيديها سيتغيركل شىء من الآن . لن تصبح مثل النساء الأخريات اللاتى يكرّسن حياتهن لرجل ليس لديه النيّة فى تقديم أى شىء سوى دعوتها إلى العشاء وقضاء ليلة معها .

يعلم الله وحده لماذا أمضت تلك الفترة الطويلة بهذا الشكل فهذا التصرف غريب عن شخصيتها . قطّبتْ جبينها بينما هى تبحث فى طيات ذاكرتها عمّا يفسّر تصرفها هذا . لقد كان لها الكثير من الأصدقاء من الجنس الآخر، ولكنها لم تتماد أبداً فى تصرفاتها معهم .

فكرت بمرارة ، فقد عاشت حياتها كلها تبحث عن القصة العاطفية ذات النهاية السعيدة ، تبحث عن الفارس الأسمر الشجاع ودرعه البرّاق ، كيف يمكن لأى فتى ريفى ساذج أو فتى من أصدقاء الدراسة بالكلية أن يكون بهذا الوصف ؟ لم يتمكن أى منهم أن يلهب خيالها .

من البداية مع جيمس كان كل شىء مختلفاً . فهو مختلف عن نوعية الفتيان التى اعتادت الخروج معهم ، مختلف كاختلاف سمكة القرش عن السمكة الذهبية الصغيرة ، فهو يخفى تحت مظهره

الأنيق ؛ عقلاً حادّ الذكاء وجاذبية جنسية لم تقابل مثلها فى حياتها من قبل .

فهى لم تنظر إليه سوى نظرة واحدة وانجذبت إليه بسرعة . طوال حياتها لم تشعر بهذا الشعور المفعم بالإثارة الذى تشعر به لمجرد وجوده بجانبها ، ولم تفعل هى أى شىء لتحمى نفسها .

* * *

بكل مرارة وألم تلوم نفسها بكونها حمقاء لإلقاء نفسها بين أحضانه تتشوق إلى فُتات الخبز الذى يرميه إليها كما يفعل مع حيوان جائع . أين ذهب كبريائى ؟ .

لاعجب إذن فى عدم إخبار والديها عن " جيمس " . فربما حذرتها غريزتها من أن علاقتها بجيمس لن تنال رضى والديها . لو عرف أهلها ما تعانيه من تخبُّط عاطفى لأصابتهم صدمةٌ قوية . فهم أناس ذوو طراز قديم بمبادئ قديمة .

ولأن معاشرة ابنتهما لرجل غريب لا يتماش مع أى عُرف لمبادئهم .

كل هذا أخذ يدور برأسها وهى جالسة على هذا المقعد وممسكة بالصُّورة . كيف يمكن لها أن تكون بهذا الغباء ؟ .

* * *

كانت مستغرقة فى التفكير فلم تدرك دخول " جيمس " إلى غرفتها ، يملأ بجسده القوى المسيطر مدخل الغرفة مما جعل قلبها يسرع فى دقّاته . ولبرهة من الوقت أخذت عيناها تطرف وكأنّ شدة تركيزها فى التفكير فيه قد أحضره إليها . وبعد ذلك بدأت تحس بضربات شديدة بصدرها وهذا شعور مألوف كلّما أحست بوجوده معها ، حاولت أن تقوى من عزيمتها حتى تستجيب له .

لم يظهر دهشته لرؤيتها . دخل إلى الغرفة بحركته الرّشيقة التى تظهر جسداً قوياً أقرب إلى الكمال . بدأ فى خلع معطفه وفك ربطة عنقه حتى يتمكّن من فتح أعلى زرمن قميصه " ماذا - قال أخيراً وهو يسير نحوها وينظر إليها باستحسان - أحضرك هنا ؟ كنت أعتقد فى هذا الوقت أنك نائمة بأمان فى الكوخ " ثم انحنى وهو يسند نفسه إلى ذراعى الكرسى مما أصابها بشعور عارم من النشوة.

هذا هو حالُها دائماً فهو يحوّلها إلى أنثى مطيعة بدون إرادة . ولكن هذه المرة لن تعطى له هذه الفرصة فهى لن تسمح لنفسها بالغرق فى تلك الدوّامة من العاطفة التى يغرقها فيها بدون حتى مجرد أن يحاول .

همست كلير قائلة : " لقد كنت أعرف بأنك ستصل الآن " كانت تشعر بالامتنان ؛ لأن الغرفة مظلمة فيما عدا مصدرالإضاءة الوحيد

صادر من أباجورة المكتب مما أخفى عنها حمرة الخجل التى تلوّن خديها .

همس جيمس بنعومة " إذن حضرت لتحيتى " مدّ ذراعه يداعبها تمنت لو أنها لم تخلع عنها البلوفر الأزرق السميك . كان أمدها بمانع ضد تلك الذراع الطويلة ، ثم شعرت بجسدها وكأنه تجمّد .

دبت الحياة بجسدها بينما انتابتها مشاعر مختلطة من الدهشة والاستجابة للنشوة . دفعت يديه بعيداً عنها وقاومته لتبعد عنه .

اكتسى وجهه بقسوة لرد فعلها غير المتوقع وبالرغم من سعادته بذلك إلا أنه لا زال المسيطر كل هذا واضح فى تعبير الضيق الذى ظهر على وجهه . شعرت بسعادة عارمة ولكن بتحدٍ صارخ بدأت تبتعد عنه رويدًا رويدًا وتمنت ألا يلاحظ كم هى عصبية .

" أتمارسين الألعاب معى يا كلير ؟ " قالها ببرود . استقام ومشى إلى البار الماهوجنى فى إحدى أركان الغرفة . سكب لنفسه شراب والتف يواجهها .

أجابته قائلة بصوت مرتفع " لا . منذ متى وأنا أمارس معك أية ألعاب ؟ " . ولازالت يداها ترتعشان فجلست عليهما فأحسّت بالصورة من تحتها فتقلّصت أصابعها حولها .

" إذن ألا يمكنك أن تعتسرى لى وجودك هنا ؟ فلقد مررت بيوم عصيب ولا أتمنى إنهاءه فى محاولة التخمين لمعرفة ما يدور برأسك " عندما أضاء الضوء العلوى أخذت عيناها تطرف وتبرق وهى مندهشة فهى لم تكن تريد رؤية هذا الوجه الأسمر المتعجرف أكثر مما تريد له أن يرى وجهها فعندما أضاء الغرفة أحسّت بأنه لا يوجد مكان تختبئ فيه .

" ربما " - قالتها وبصوتها نبرة هستيرية - " جئت للحديث . إقامة علاقة مع شخص ما لابد وأن يوجد بها جزء - ولو بسيط - من المحادثة ، أليس كذلك ؟ أولربما أطلب منك الكثير " .

" بحق الجحيم ماذا حدث لكِ ؟ " سألها باقتضاب " إذا كنتِ قررت الحضور إلى المنزل فى الحادية عشرة والنصف لإسماعى مناجاة عن فوائد المحادثة ، إذن فيمكنك الانتظار . فأنا مرهق جداً وليس لدى النية لتحمّل نوبة المزاح المفاجئة تلك "

ابتلع باقى شرابه ثم وضع كأسه بعصبية على المكتب مما جعلها تقفز من مكانها .

" أريد الحديث معك " صرخت فيه وهى تبعد بعينيها عنه ؛ لأنها تعرف بأنه عنده القدرة لتحويلها إلى حطام هش .

" مهما كلف الأمر " قالها متجهاً إلى الباب " ماذا تفعل ؟ " سألته ، هبّت واقفة وتبعته تقريباً جرياً وراءه بينما هو يعبُر الصالة الفخمة ثم اعتلى السلالم متجهاً ناحية غرفة نومه .

أخذت تفكّر قائلة هذا سخف . لقد انتظرتُه أكثر من ساعتين ، ممسكة بتلك الصورة اللعينة ، مسلّحة ومستعدّة للمواجهة ، وها هى هنا الآن تجرى وراءه مثل عبد لعين بينما هو يسرع الخطا طوال الطريق . عند وصوله لغرفة النوم بدأ يتطلّع نحوها عند الباب ، وقفت مكانها لمعرفتها بأن غرفة النوم هى آخر مكان فى العالم لحديث جاد . ولكن لربما طرأت لها فكرة بسخرية مفاجئة ، تكون تلك خطته . فهو دائماً شديد البصيرة . ذكى لمعرفته بأن إحضارها إلى هنا سيجعل له الأفضلية . ألم تكن له الأفضلية دائماً فى مثل هذه المواقف .

وبدأ يخلع عنه ملابسه ويلقيها على كرسى بجانب النافذة ، ولم ينظر فى اتجاهها .

لطالما فتنها جسمه على الدوام بحساسيته وخطوطه القوية ولونه البرونزى الخفيف الغير معتاد فى الإنجليز . ولقد سبق أن أخبرها فى إحدى المرات النادرة من الثقة بأن هذا يرجع إلى حقيقة هى أنّ والدته إيطالية ذات جمال أسمر وحشى والتى أطاحت بجمود والده الإنجليزى بالرغم من نفور أقاربه . الشىء الإنجليزى الوحيد به - أكد لها - هو اسمه . وأمكنها بسهولة تصديقه ؛ لأنه لا يوجد به أى شىء مروض .

www.elromancia.com

" لا أنوى الحديث إليك بصوت مرتفع من الحمّام ولهذا إما أن تدخلى من عتبة الباب أو يمكنك تأجيل ما تريدين قوله حتى وقت آخر " ، أخبرها بذلك حتى دون أن يلقى نظره باتجاهها وهو يتنقل بين غرفة تغيير الملابس والحمّام .

فتح الدش فاضطرت كلير مرغمة على غلق باب غرفة النوم وتبعته إلى داخل غرفة الملابس . من خلال الباب أمكنها رؤيته وهو يخلع عنه ملابسه ، لم يبذل مجهوداً لمتابعة محادثتها . فربما ليس لديه أى فضول لمعرفة ماهية الحديث ولربما انتظر منها أن تكسر هذا الصمت وهى مرغمة .

أخذت كلير بضع خطوات ناحية الحمّام ولكنها لم تدخل . عن عمد أشاحت بنظرها وتطلّعت فى الاتجاه العكسى . غرفة نومه تتسّم بالغرابة ، يغلب عليها اللونان الأحمر القانى والذّهبى . بها سرير ضخم بأربعة أعمدة ، من القرن الثامن عشر مختلف عن باقى أثاث الغرفة الذى يتّسم بالذوق الرفيع . والذى يعكس شخصية " جيمس " الحسّية العاطفية .

" ألازلتِ تتظاهرين بأنك البنفسجة المنكمشة ؟ " همس لها وهو يقف قريباً منها ، قفزت من مكانها ، والتفتت ناظرة إليه .

كان شعره رطب ويربط حول خصره منشفة بيج . ويبدو أن الحمّام الذى أخذه قد أنعشه فهو فى مزاج أحسن ليس على ما كان عليه من أسلوب فظ وجاف عندما دخل عليها فى غرفة المكتب .

" ألا زلت مصرّة على الصمت ؟ " سألها بنفس النبرة المنخفضة وابتسم لها ابتسامة ذات سحر فتأن أحسّت بالنفس محبوس بحنجرتها . أكمل حديثه قائلاً : " أو ربما تفضلين تأجيل الحديث من أجل شىء أقل عقلانية ؟ . " وضع أصابعه بشعرها جاذباً إياها إليه ورفع وجهها باتجاهه . وبرد فعل بدون وعى حاول أن يقبّلها فوضعت كفيها على صدره ودفعته بعيداً عنها . خطى للخلف مندهشاً وغاضباً .

نعم سيكون مندهشاً وغاضباً . فهى لم ترفضه من قبل على العكس فهى دائماً تستجيب له خاضعة كما تنحنى الزهرة أمام الريح. وتسمح له ، كالتلميذة الساذجة ، بإملاء تصرفاتها عليها . إن مجرد التفكير فى ذلك يشعرها بالغثيان . " حسناً " قالها وهو يفك المنشفة عن خصره ويلقيها على كرسى ، ثم بحث فى الدولاب عن شورت حريرىّ والذى ارتداه قبل الالتفات إليها قائلاً " أخرجى ما فى صدرك . تقفين هناك وكأنك عذراء على وشك الاغتصاب . لا أعتقد بأنى سأتحمل الانتظار لمعرفة الشىء الهام الذى تريدين الحديث عنهُ " .

" حقاً ؟ " سألته كلير بفتور " لاتبدو كرجل يحتضر من الفُضول . حقيقة ، لا تبدو كأنك تكترث بما أريد قوله . " .

اندهش أكثر لانفجارها ، طوّق زراعيه إلى صدره ونظر إليها وكأنها امرأة اختل عقلها .

تلك هى المرّة الأولى التى تثور عليه .إنه رجل لا يجب أن يواجهه أحد . وتجد بداخله قوة عجيبة تجعلك تفكر جيدًا قبل أن تجعله غاضباً ، الآن تمنت لو أنها لم تبدأ أبداً هذا الطريق . نظر إليها بهاتين العينين الخضراوين النافذتين وهو مطوق ذراعيه إلى جسده وكأنه يسمح لها مؤقتاً بالحديث لوقت قصير محدد مما جعلها أكثر عصبية .

رطبت شفتيها وهى تطمئن نفسها بأنه لا يوجد أى داعٍ للخوف منه . فهى تعاشره وبالإضافة إلى أن لها الحق فى سؤاله ما ترغب . لا يمكنه قتلها بسبب عدم اهتمامه بالسؤال .

" حسناً ؟ " نطقها بغضب " كلّى آذان صاغية " .

أخذت كلير نفساً عميقاً ومدّت يدها بالصورة وسألته بهدوء :

" أحب أن أعرف شيئاً عن هذه الصورة " .

تقدم للأمام وأخذ الصورة وحملق بها وعيناه تلمعان كالماس .

" ومن أين أتيت بها ؟ " .

" من درج المكتب " قالتها مدافعة . " كنت أقوم ببعض العمل الفنى فى الكوخ واحتجت إلى ورق وفكرت فربما تحتفظ ببعض الورق الفولسكاب فيه . أنا أعرف بأنك أحياناً تعمل فى المكتب ولم

أعتقد بأنك ستعترض على ذلك .... " صوتها بدأ يتضاءل أدركت أن شجاعتها بدأت تخبو .

عندما كانت غاضبة ، كان من السهل التفكير فى مواجهته . ولكن الآن هى لم تعد غاضبة بل خائفة بشدة وليس لديها أية فكرة عن الذى ستقول له بعد ذلك . كل كلمة تمثل خطوة فى تجاه بركان ملتهب .

وبعد صمت طويل بلا نهاية ، قال بصوت بارد : " لو ساورنى الشك بأنك ستحضرين للعبث بأدراجى لكنت أغلقتها " .

" أنا لم أعبث بها " قالتها مدافعة بحرارة " كيف كان يمكننى إيجاد الورق إذا لم .. ؟ " .

فأكمل لها " إذا لم تلق نظرة فاحصة وطويلة لمحتويات الدرج كلها " . شعرتْ بالخجل بالرغم من أنه يقول كلاماً بعيدًا عن الحقيقة . فهى لم تتطفل وليس هذا من طبيعتها .

أخبرته بغضب " أنا حتى لم أنظر فى الدرج . لقد مددت يدى فقط لكى ... " .

" لكى تنظرى وتلاحظى وماذا يجب أن تصافحى إلا هذا ؟ " .وألقى بالصورة على السرير .

www.elromancia.com

" هل تترك لى الفرصة لأكمل حديثى . نعم سحبتها ونظرت إليها . بالطبع فأنا بشر فوق أى شىء " . أضافت ساخرة " اعتقدت بأنك لربما تمدُنى بتفسير " .

بدأ يبدو شديد الغضب بخطورة . اتسعت عيناها بإمعان عندما أخذ خطوة فى اتجاهها .

" لا يمكننى التخيل لماذا تعتقدين هذا ؟ " قالها بصوت ناعم يحمل فى طياته شعور بالاشمئزاز " إننى لست مديناً لكِ بشئ . وأقل تفسير يمكن قوله هو أن ذلك أمر لا يعنيكِ " .

جرحها هذا . ولكنها لن تريه ذلك . هذا الرجل أمامها ليس " جيمس " الذى أحبته فهذا غريب ، بارد وعدوانى .

" لقد مارسنا الحب سوياً " فضحك بصوت عالٍ . " ومن ثم ؟ " تكلمت بارتباك " وكنت أعتقد . كنت أتخيل ... أعنى عندما يمارس اثنان الحب فغالباً ما يتشاركان فى ... " . بمجرد النطق بتلك الكلمات ، أدركت سخافتها . فلا يوجد أى شىء حميم فى علاقتهما فهى ليست علاقة عادية لاثنين يتقابلان بتقاسما الفراش . فهى علاقة وحشية ومتملكة وحتمية ، على الأقل لها .

" كنت دائماً أعرف بأنكِ صغيرة السّن عنىٌ كثيراً " أخبرها ببرود : " عزيزتى كلير ، لمجرد أننا مارسنا الحب سوياً لا يعطيكِ هذا الحق أن تنتقدى حياتى الشخصية " .

" ولكنىٌ أنا حياتك الشخصية " .

" إنك تفترين بنفسك " قالها ابتعد عنها ، فأخذت تطرف بعينيها سريعاً حتى تحارب دموعها .

تحرك بعيداً ليقف بجانب النّافذة بنصف التفاتة فى اتجاهها ، يبدو مثل حيوان ضار بدون أى مبادئ . كم تحب الاندفاع نحوه وخلع عينيه عنه .

" ألم أعن لك أى شىء ؟ " قالتها وهى تحاول التمسك ببعض السيطرة على نفسها .

تصلب كتفاه بينما وقف صامتاً لفترة طويلة مما جعلها تتعجب إذا كان قد سمعها أم لا. ليس لديها الرغبة لتكرار السؤال . بعد هذا الصمت الطويل لا يوجد حاجة إلى عبقرى لمعرفة الإجابة على السؤال .

" ماذا تريدين منّى للإجابة على هذا ؟ " سألها وهو لا زال جالساً بعيداً بجانب النافذة .

كانت تريد الصراخ به لتكون إجابته بنعم . تريد أن يعترف بحب جنونى لها كما هى تحبه .

" ليس لك أن تقول أى شىء " .

تمكنت من أن تخبره بذلك " فأنا لست بغبية ، مهما يكون ما تفكر به ، أستطيع قراءة ما بين السطور . " .

" أبداً . لم أشجعك على الاعتقاد بـ ... "

" أعرف . وأنا لم أعتقد ... لم أتوقع أى شىء منك . إلا أننى لازلت أرغب فى معرفة موضوع هذه الصورة ليس لأنك مدين لى بشىء كما أخبرتنى بطرق كثيرة . " .

" تلك " قالها بدون التغيير فى نبرة الصوت " صورة زوجتى".. شحبت كلير ثم أحمرّت خجلاً . شعرت بجسدها وكأنّه متقد ناراً . من الواضح أنها كانت صورة زفاف ، أليس كذلك ؟

" إذن لقد كنت على علاقة برجل متزوج طوال التسعة أشهر الماضية " قالتها من خلال شفاه يابسة " هل تخبّىء لى مفاجآت أخرى ، جيمس ، لربما أنت مجرم هارب وهذا المنزل لا ينتمى إليك بأى حال من الأحوال ! " ارتفع صوتها بحدة " لقد تمكنت من الاحتفاظ بزوجتك كسر طوال التسعة أشهر الماضية . أين هى ؟ محبوسة فى إحدى غرف النوم فى أى مكان ؟ أو لربما مختبئة وتركتك لتفعل ما تريد من علاقات ؟ . أخبرنى يا جيمس فأنا أكاد أموت من الفضول . "

تحرك بسرعة فى اتجاهها مسمّراً ذراعيها إلى جانبها مانعاً إيّاها من الهروب .

" أنت فى حالة هستيرية " أخبرها بخشونة . جاذباً إيّاها إلى السرير . ألقاها عليه . حاولت النهوض ولكنّه منعها باحتضانها بذراعيه . لذلك رقدت بسلبية أخفضت عينيها حتى لا يرى التمرّد بهما .

" هل تلومنى ؟ " قالتها بضراوة .

" أنا غير متزوج " أخبرها قائلاً " التفكير فى الخيانة يترك طعمًا بالمرارة بفمى . لقد توفيت زوجتى منذ عشر سنوات " .

همست كلير " لم تكن لدى أى فكرة . أنا آسفة " صمتت قليلاً محاولة تهدئة اتهامها الذى قذفته به " ولماذا لم تذكرها لى من قبل ؟ " .

بينما ينظر إليها اكتسى وجهه بتعبير خَشِن " لم أر الحاجة إلى ذلك " قالها بصوت قاس أملس : " كلير دعينى أوضح لك شيئاً بيننا . علاقتنا علاقة حسّية بحتة . نعم أرغبك ولكن إذا كنت تبحثين عن الارتباط إذن فأنت تبحثين فى المكان الخطأ عن الرجل الخطأ . مقدرتى للحب انتهت عند أوليفيا . "

www.elromancia.com

أوليفيا اسم جميل يناسب هذا الجمال الأشقر الخالى من العيوب . جمال مأساوى . إن أسوأ شئ فكرت فيه هو كيف يمكنها محاربة الماضى ؟ .

" لا يمكنك أن تقصد هذا " قالتها بدون تفكير " فَرَدَّ عليها " لا تلعبى دور الشهيدة معى ، كلير . أنا سعيد ومستمتع بما بيننا ولكن لا تضيعى وقتك إذا كان ما تهدفين اليه هو الزواج . أليس كذلك ؟ " .

" هل أشرت إلى ذلك من قبل ؟ " قالتْهَا بضعف وأشاحت بعينيها بعيداً عن عينيه . أخذتْ تتنفس بسرعة وصدرها يرتفع ويهبط .

" هذا حَسَن " قَالَها " سيكون من سوء الحظ أن ينتهى ما بيننا بسُرْعةٍ هكذا . أليس كذلك ؟ " أمد ذراعه نحوها محاولاً مداعبتها برقة . لقد كان دائماً حبيبها الأول والوحيد . علمُها كيف تمارس الحب ، يعطيها المتعة بشدة حتى تصبح واثقة من ردها إليه. استجابت إليه الآن بسيل عارم من الرغبة . تلاشى عقلها عندما بدأ يقبلها ، إلا أنها أفاقت فجأة وبدأت تقاومه لتبتعد عنه ، حاولت إزاحته بعيداً عنها محاولة بيأس الهروب منه .

إلاّ أنه هذه المرّة كان أقل استجابة لتركها . أمسك بذراعيها مثبتاً إياها إلى السرير مما جعلها تتوقف فى الحال عن الحركة . فلا

داعى لمقاومته فهو أقوى منها بكثير وهى تعرف ذلك عن تجربة ، ففى أى صراع سيكون دائماً هوالفائز . إذاً لماذا تضيع طاقتها محاولة محاربته ؟ . لا يمكنه ضبط إحكامها للأبد وبمجرد رفع يديه عنها ستفر هاربة منه .

تضايق من سلبيتها بين ذراعيه . " لا يوجد فائدة " أخبرته بفتور " يمكنك أن تفعل ما تريد ولكن لن تتمكن من إشعال رغبتى لك " .

" لا يمكننى ؟ " صوته ينطق بعدم التصديق وأخذت تراقبه بغضب من خلال رموشها . " هل ندع ذلك للتجربة ؟ " .

دقق النظر نحوها مما جعلها تشعر بنفسها وقد اتقدت ناراً . مَنْ تحاول خداعه ؟ إنها ترغبه الآن كما كانت ترغبه دائماً . شوقها الشديد إليه أكبر منها ، إن مجرّد التفكير بأنه يتطلع إليها وهى عارية يداعبها بعينيه كافٍ لتلون خدّيها باللون القرمزى على الرغم من أنه لم يعد يلمسها .

" لا تذهب أبعد من ذلك " قالتها وهى تهز كتفيها بدون مبالاة . أحسّت بجَسَدِه يتصلّب فعرفت أخيراً أنه أمكنها هزّ مشاعره . لم تعرف كيف تحدد إحساسها بالخوف أم الزهو . " يمكنك هزيمتى بسهولة فهذا يثبت أنك أقوى منى بكثير وبالتأكيد إذا مارست الحب

معى ستجعلنى أتجاوب معك . ولا يعنى تجاوبى معك تجاوب عقلى كذلك " .

الغضب والمرارة والجرح أطلق لسانها والآن حيث أنها تتحدث فلا يمكن إيقافها لقد خزنت تسعة أشهر من الحب العاطفى ، الجامح، عديم الجدوى وهو الآن يخرج منها فى سيل عارم .

" متأكد جداً من نفسك ، أليس كذلك يا " جيمس " ؟ " سألته بصوت عالٍ " هل واجهت فى حياتك أية عقبة ؟ أشك فى ذلك . أبحرت فى الحياة معتقداً بأنه حقك أن ينحنى الجميع لأمرك " ، أطلقت ضحكة عالية لاذعة . جلست مبتعدة عنه وأخذت تهندم فى ملابسها بأصابع مرتعشة . " لقد كنت حمقاء لأتأثر بسحرك وفتنتك." رفعت وجهها بتمرد ناحيته وذقنها يبرز بتحدٍ صارخ " إنك تلعب بالنساء . أليس كذلك ؟ هل يسليك اللعب بى ؟ هل أثارتك عذريتى ؟ " فى ثورتها تعدت حدود العقل . أحسّت بالنيران تغلى بها لمعرفتها بأن الرجل الذى تحبه لا زال متعلّقاً بزوجته المُتوفاة .

" نعم . أنت تثيرينني " قالها بخشونة وعيناه الخضراوان تلمعان كعينى قط " وأيضاً عذريتك جزء منك . هل كنت تفضلين أن أكذب عليك ؟ هل تريدين منى إخبارك بأنى أحبك ؟ هل تحبيننى عندما أروى لكِ قصصنا عن النشوة الخالدة ؟ " أخذت تحملق فيه بعينين

واسعتين . " اللعنة . يا امراة ! " وقف وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً مثل حيوان حبيس ، وهو يمس شعره بأصابعه . راقبته بعينين زائغتين بافتتان جشع .

بالطبع ستذهب ، ولكن شيئاً ما سمّرها بالسرير .

" لا تنظرى إلىّ هكذا ! " أمرها وهو لا زال واقفاً ويرمقها بتلك العيون المذهلة .

" أنتِ أخبرتينى بأنكِ أبداً لم تمارسى أية ألعاب معى ، حسنا ، وأنا كذلك . أبداً لم أوعدك بما لا أقدر على تقديمه . "

بدا الجو كثيفًا مليئًا بالاضطراب مما جعلها تنظر بعيداً عنه ، جسدياً كانت غير قادرة على التطلّع إليه على الرغم من أنها كانت تريد ذلك . شعرت وكأنّها فتحت باباً ووجدت جحيماً من خلفه . لو كانت أختها جاكى موجودة لربما كانت فخورة . جاكى أكبر منها بسبع سنوات ولم تقابل " جيمس فورستر " من قبل ولكن هذا لم يمنعها من انتقاده أمامها ، فى بداية علاقتها بجيمس أختها أخبرتها قائلة " أنا أعرفك جيداً فأنت ساذجة جداً لرجل مثل هذا . أنت حالمة ، وكنت دائماً حالمة . حتى وأنت فى سن المراهقة عندما كان يجب لك الخروج والاستمتاع . كنت تحبسين نفسك فى غرفتك مع الكتب والروايات العاطفية . الآن أنتِ بالنسبة له شىء جديد له

لم يقابله من قبل فقد تعود على أنواع أخرى من النساء . نساء ذو خبرة يضعون أدوات الزينة بعناية ويرتدون الملابس من أحدث بيوت الأزياء أنت صغيرة ومنعشة وبريئة جداً ولكنه سيمل منك ويتركك ، كونى متأكدة من ذلك " .

ولأنها تحب أختها فقد استمعت لها ولكنها لم تأخذ أى حذر . فالغشاوة التى وضعها على عينيها كانت قوية لدرجة أنها ألغت العقلانية .

" لا ، أبداً لم تقدّم لى أى شىء لا تستطيع تقديمه . " كررتها بفتور . تبخّر غضبُها الشديد وشعرت بالفتوروالتبلُّد " على الأقل أشكرك على ذلك . كم كنت ممتازاً . كم كنت رجلاً بحق " .

انقبضت شفتاه ونظر إليها وكأنّه يتمنى هزّها بشدة ولكنّه سيطر على نفسه بصعوبة بالغة :

وقفت وسارت ببطء ناحية الباب ، شعرت بداخلها كأنّها ميتة وبدون حياة . فهذه هى المرة الأولى التى تثور على جيمس هكذا ، أو أى شخص آخر . هى فتاة من النوع الذى لا يحب المناقشات ، وتفضل أن تخطو طريقها بأقل مقاومة ممكنة ، لربما يرجع هذا إلى أن والديها نادراً ما تجادلا . الاصطدام يرعبها ، يشعرها بعدم الارتياح والاضطراب .

" لا يمكننى منافسة زوجتك " ، قالتها بهدوء ويدها على مقبض الباب " كنت فقط أتمنىّ أن أكون قد أعجبتك ولو قليلاً لتخبرنى عنها بنفسك " .

" الإعجاب " أخبرها ببرود بدون أن يحاول منعها من المغادرة " ليس له أى علاقة بهذا " .

" كيف تكون لا زلت متأثراً بالماضى هكذا ؟ " خرج منها السؤال بدون وعى وينسفأعادت لعينية تلك النظرة المُبهجمة . إنها تفضله وهو غاضب ، بارد ولاذع أى شىء ما عدا هذا التغيير المغلق الذى لا يعطيها أى تلميح لما يمكن أن يفكر فيه .

خطا نحوها خطوة فانكمشت مثل حيوان مجروح . " هل من الممكن الهروب من الماضى ؟ " سألها وعلى وجهه ابتسامة خاوية لاذعة ملساء " لا زلتِ طفلة . ما كان يجب لى الرضوخ لاندفاعى. كان يجب على أن أتركك تتسلين بافتتانك الصغير . "

" أشكرك جداً على هذا " . همست كارهة نفسها على حبها لهذا الرجل لقدرته على كونه كريهاً لدرجة كبيرة . " لكن الوقت ليس متأخراً لتتخلص منى " فتحت الباب وخرجت إلى الرواق وقالت له " سأذهب الآن وهذه هى المرة الأخيرة التى سترانى فيها . يمكنك الآن المضى فى حياتك وأستطيع أنا إنهاء ألعابى الغبية الطفولية . "

أغلقت الباب وراءها وطارت جرياً عبر الرُواق وهبطت السلالم كأن كلاب جهنم تطاردها . مع أنه فى الحقيقة لم يبذل أدنى مجهود ليوقفها .

لماذا يجب عليه ؟ فكّرت بهذا وهى تخرج من البـاب الأمـامى . مـا أنـا سـوى متعـة بسيطة على هـامش حياتـه . لازال على حبـه لزوجته أوليفيا .

* * *

الفصل الثانى

عندما قابلت كلير جيمس كانت قد أتمت عامها العشرين ، كـان ذلك فى أحد تلك الأيام الكئيبة فى الشتاء حيث لم تبزغ الشمس فيه أبداً ، وسقط الظلام سريعاً فى منتصف الظهيرة . ولم يكن قد تبقى غير يوم واحد لسداد إيجار غرفة نوم ضيقة فى مـنزل تتقاسمه مع ثلاث فتيات أخريات . كانت النقود قليلة وكرهت كلير إبلاغ والديها بتلك المشكلة لأنهما سيصرّا على مساعدتها فوراً . حتى وهى فى سن العشرين لازالا يفكران فيها كأنها طفلتهما الصغيرة . التى يجب حمايتها .

ولا يمكن إغفال حقيقة أن والديها ليسـا ميسورى الحـال بـالرّغم من أن لديهما بعض المدخرات إلا أنها لوقت الحاجة .

ولهذا استمرت تنقّب فـى الجريدة بقلق بحثاً عن وظيفة وهى تتساءل لربما من الأفضل أن تترك لندن إلى بيركشـير حيث إيجار الشقق منخفض وفرصة الوظائف أكثر .

ستة أسابيع بدون عمل لا يدل على أمـل فـى الأفـق ولـم يعطها هذا أى ثقـة بـالنفس .اقترح عليهـا فتاتـان مـن اللاتـى يشـاركونها المسكن البحث عن وظيفة كسكرتيرة وتستثمر وقتها فـى دورة فـى تعلّم الآلة الكاتبة والتى ستثمر عن ربح جيد فى المستقبل .

www.elromancia.com

ولكن كلير لم تفرح جذلاً باقتراحهما . لقد بذلت مجهوداً شاقاً فى الحصول على شهادة الفن . ولن تتركه من أجل العمل الرُّوتينى من التاسعة إلى الخامسة أمام الآلة الكاتبة ، فلم ترقها تلك الفكرة .

لكن بينما هى جالسة على منضدة المطبخ تفحص أعمدة البحث عن وظائف أجبرت على الاعتراف بأن حبّها للفنّ لن يتكفّل بدفع فواتيرها .

أيضاً شكّت بأن صاحب المنزل سيبتسم متقبّلاً حاجتها لتصبح خلاقة ومبدعة ويتغاضى عن عدم دفعها لإيجار غرفتها التى بمنزله ، فهو يصبح فى أوقات معينة مثل سمكة القرش المفترسة . وارتجف جسدُها لمجرد تفكيرها فى رد فعله عند شرحها سبب التأخر عن الدفع .

عندئذ وقع بصرها على ما تريد ، فهاهى وظيفة عاملة نظافة فى منزل " فرليتون " بمرتب ممتاز . اتصلت بالرقم الموجود بالإعلان فى الحال وتحدد لها ميعاد للمقابلة بعدها بساعات قليلة .

شعرت بأنها وجدت وظيفة وستحصل عليها . ستكسب بعض المال وسيمكنها المحافظة على مسكنها وذلك حتى يمكنها الحصول على الوظيفة التى ترغب فيها والأحسن لها ، فى كل هذا ستكون محيطة بكل هذا الجمال الرائع فى هذا المنزل القديم الجميل .

يمكنها التأكد من ذلك بما رأت من دلائله من الخارج ، كبير ، مهيب على قمة تل ينظر أسفل على العالم بخليط من العظمة والازدراء .

كانت محقّة فقد حصلت على الوظيفة هكذا أخبرتها مدبّرة المنزل ويمكنها البدء من الصباح التالى .

أصاب كلير انبهار قوى فمنزل أسرتها مُكوّن من ثلاث غرف نوم ليضم أربعة أفراد وكلب . وبدون ذلك الكلب بين الحين والآخر . فهى لا تستطيع تخيل كيفية الحياة فى منزل واسع مثل منزل فريلتون .

" هل يوجد أطفال ؟ " سألت مدبّرة المنزل والتى نظرت إليها نظرة فضول .

" أطفال ؟ بالطبع لا . يعيش السيد هنا بمفرده ولا يحضر إلى هنا غالباً . فعمله فى لندن ، كما ترين ، ولديه شقة هناك ولكنّه عندما يأتى إلى هنا يجب أن يكون المنزل شديد النظافة . ليس معنى هذا أنه شديد التمسك بالدقة والنظام " وأكملت بسرعة قائلة : " ولكننى شديدة الاهتمام بذلك " . وأخذت تنظر من حولها بكل فخر " يوجد هنا أربعة أفراد وظيفتهم الاهتمام بشئون المنزل ، وأنا أقوم بالطهى عند حضور السيد للمنزل . جورج ، زوجى ، مسئول عن الحديقة . ويوظّف بعض الصبية لمساعدته . ونحن محل ثقة

السّيد " قالت ذلك وهى شامخة برأسها مما جعل كلير تبتسم " نحن المسئولون عمّن يعمل هنا ولهذا يجب أن نأخذ حذرنا . يوجد العديد من الأشياء القيمّة فى هذا المنزل . الأنتيكات . الصور " ، أشارت بيديها لكل هذا وهزّت كلير رأسها باستحسان .

" على ما أعتقد ، لاتقدّر بثمن " أجابتها ولكنها حقيقة كانت نصف مستمعة فعيناها تدور فى أنحاء المكان بسعادة وجذل ، تتابع الانحناءات الرائعة للدّرج الذى يملأ الردهة ويعلوا صاعدًا لينقسم إلى ممرين يشكّلان مربعًا كبيرًا وينتهى إلى غرف النوم .

على الحوائط رسومات تخطف الأذهان بعضها صور لأشخاص والبعض الآخر مناظر طبيعية وكلها أصلية . تعتبر جنّة خالصة لمحب الفن .

ويوجد كذلك مكتبة رائعة من النظرة العابرة التى ألقتها عليها وتطابق كل توقعاتها فيما يجب أن تكون عليه مكتبة لمنزل كبير وضخم مثل هذا .

" بالطبع لاتقدّر بثمن " قالتها مدبّرة المنزل بعفوية مما جعل كلير تبتسم مرة ثانية .

خرجوا مرّة أخرى للردهة عندما دقّ جرس التليفون فأسرعت مدبّرة المنزل للرد عليه تاركة كلير لتخرج من المنزل بنفسها . ولكن كلير وقفت تستمتع بما حولها أحبت جمال المنزل وقِدَمه .

ستتصل بأختها لتبلغها بحظها السعيد بالرغم من أنها تعرف رد جاكى جيداً " هذه وظيفة مملة يجب أن تبحثى عن غيرها بسرعة . اختلطى بشباب من عمرك " .

لم تردها أن تترك لندن . جاكى محبة للإقامة فى المدن بينما كلير محبة للهدوء والطبيعة .

* * *

بينما هي لا زالت واقفة فى الردهة تحلم أحلام اليقظة فى هذا الغموض السحرىّ الذى يكتنف هذا المنزل القديم الرائع والمتعة اليومية التى ستحصل عليها لمجرد النظر إلى تلك الرسومات ، فتحت الباب الأمامى وواجهت منظر يخطف الأنفاس .

وقف رجل طويل نحيف مرتدياً معطفاً أسود أمامها . من خلفه الظلام الداكن لفترة مسائية مبكرة . كان شكله يوحى بأنه من زمن آخر أكثر خطورة ، وأقل تمدن . وظنّت لبرهة أنه يجب أن يكون لدية حصان أبيض ضخم يضرب بحوافيره الأرض ويصهل فى هذا البرد القارس .

عندئذ طرفت بعينيها وأدركت أن هذا كله سخف وهو مجرد وهم .

" من أنتَ ؟ " سألته بصوت جبان ، بينما تشبثت بمعطفها من حولها ؛ لأن الردهة أصبحت فجأة شديدة البرودة من الهواء الخارجي.

" من " ، أجاب الرجل ببرود وهو يخلع عنه المعطف الأسود ليكشف عن بدلة رمادية لا تقل روعة وذات حياكة كاملة لتؤكد نوع الجسد والذى من الصعب وضعه فى بدل ، " إذا سمحت لى بالسؤال ، أنت ؟ " .

ألقى بالمعطف على الشيزلونج من خلفه ثم التفت وتطلّع إليها بتركيز شديد مما جعل حمرة الخجل تعلو خدّيها . شعرت بعدم ارتياح كبير أمامه .

تلعثمت قائلة " ...ت الوظيفة " ، طقطق الرّجُل لسانه بعصبية.

" وظيفة ؟ أية وظيفة ؟ "

تحرك متجهاً إلى إحدى غرف الجُلوس بالدُور الأرضى متوقعاً منها أن تتبعه وهذه ما فعلته بالرّغم من أنها لم تعرف اسمه حتى الآن .

" عاملة نظافة " أخبرتْه من خلفه " رأيت الإعلان عنها بالجريدة فتقدّمت للوظيفة " .

التفت إليها وهو يضيق بعينيه فابتعدت خائفة . لم تقابل من قبل رجلاً مسيطراً بهذه الدّرجة . ملامح وجهه القوية توحى بالعنف وان كان انحناء فمه يوحى بالدفء . شعره داكن تقريباً أسود وعيناه ذوا لون أخضر غريب ليس لون اللبنى أو الفيروزى بل أخضر صافى تحيطهما رموش سوداء كثيفة .

هاتان العينان تراقبانها الآن وتتفحصان جسدها بوصة بوصة . حتى شعرت باحمرار الغضب من داخلها ، تيقّنت من أن هذا الرجل لابد وأنه السّيد لهذا المنزل ، وبالنسبة له فإن عاملة النظافة من أحقر الناس ولهذا شعرت بموجة نادرة من التمرُّد تجتاحها فوضعت يديها خلف ظهرها وفكّرت بشىء لاذع لتقوله بغض النظر هذا هو السّيد أو ليس بسيد .

أخبرها قائلاً : " لا تبدين مثل عاملة نظافة " . ثم تحرك إلى إحدى الأرائك وجلس عليها . لم يشر إليها لتجلس ولكنّه تركها مما جعلها تشعر بقيامها بدور منفرد على المسرح أمام حشد من النقاد .

" اعتذر عن ذلك " قالتها بحياد وإن كانت أدركت من التعبير الضّاحك الذى ظهر واختفى فجأة على وجهه بأنه يعرف بأنها تسخر منه .

" كم تبلغين من العمر ؟ خمسة عشر ؟ ستة عشر هل والدتك تعرف بأمر طلبك الوظائف بينما يجب أن تكونى بالمدرسة ؟ " .

كانت هذه القشة التى قصمت ظهر البعير فجأة غشى الغضب نظرها . فأجابته بحدة : " عمرى ليس خمسة عشر عاماً وكذلك ليس ستة عشر . ووالدتى على وعى تام بطلبى لشغل الوظائف الشاغرة . وبالتأكيد تتمنى حصولى على إحداها وهذا طالما بلغت العشرين عاماً وبعد حصولى على دبلوم الفنون الجميلة " .

" فى تلك الحالة لماذا تريدين العمل كعاملة نظافة ؟ هل تتمنين إدخال الإبداع على تلك الوظيفة ؟ ربما تعيدين تصميم أثاثا الغباء إلى أشكال فنية " قالها بصوت أملس .

أطبقت قبضتيها بإحكام إلى جانبيها وتطلّعت بعيداً عنه . هاهو ذا جالساً يربكها بردوده السّاخرة ، تكره التعامل مع أمثاله . غير أن الواقع يحتم عليها غير ذلك ، ولكن ما تشعر به الآن ليست كراهية ، أبعد ما تكون عن الكراهية . إنه شعور قوى ، مبهج ومخيف . مما جعلها تشعر بأنها ضعيفة أمامه ، وكذلك أحست بأنوثتها بطريقة لم تحدث من قبل . ولا تريد منه أن يتوقّف عن النظر إليها . يجب أن تجبر نفسها بالهبوط مرة أخرى على كوكب الأرض .

أجابته ببرود : " أنا بحاجة إلى النقود ، وأحب هذا المنزل - القصر" صحّحت نفسها بسرعة " أحب الأشياء الجميلة وهذا المنزل - آسفة القصر - ملىء بالأشياء الجميلة . درسْت فى كلية الفنون الجميلة ، كما ترى . هل ذكرت لك هذا ؟ ودائماً كنت أحب الرسومات ، التماثيل ؛ هؤلاء أكثر لطفاً من تلك الأشياء الكئيبة التى نراها من حولنا تلك الأيام . ألا تعتقد ذلك ؟ " .

كان يهز رأسه وهو شارد الذهن مما جعلها تتعجب من أنه ربما بدأ يفقد الاهتمام . ربما وجدها جادة وخرقاء ولكنّها ليست من الفتيات اللاتى يجدن الحديث المنمق .

" آسفة " قالتها وهى تضيف نبرة برود إلى لهجتها ولكننى لا " .

" فورستر ، جيمس فورستر " لم يمد يده لها . على العكس وضم يده لأصابعه وبدأ يتطلّع إليها بتلك النظرة الفاحصة الصريحة والتى اعتبرتها وقاحة منه " وما اسمك ؟ " .

" كلير هاربر " . بعد هذا القول لا يوجد ما تضيفه ، وأخذت تتساءل فيما يجب أن تفعله لربما يجب أن تبتسم وتضيف بعض الكلمات اللطيفة وتستأذن بالانصراف .

فوجوده يجعلها عصبية ومرتبكة وتذكرت قول مسز إيفنز ، مدبّرة المنزل ، بأنه لا يتواجد كثيراً بالمنزل .

" لِمَ لا تجلسين ؟ " قالها بسخرية " تبدين مثل حيوان خائف على وشك الهروب . لن آكلك " .

هاها . ابتسمت بضعف ، ظريف جداً . يجب أن تأخذ بعض الدروس عن أختها فى كيفية التعامل مع هذا النوع من الرجال . فلن يفيدها التلعثم أو الحماقة .

تمتمت قائلة " حقيقة لا أستطيع ، أرغب فى الرجوع قبل حلول الظلام الدامس " .

" لا أظن بأنهاأن الظلام سيشتد أكثر مما هو عليه الآن . كيف جئت إلى هنا ؟ على ما أعتقد لا تقودين سيارة فلم أر أى سيارة بالفناء فى الخارج . هل تركبين الدراجات ؟ "

هزّت رأسها بالنفى " بالأتوبيس ثم مشيت حوالى الميل أو أكثر من محطة الأتوبيس " حملق فيها باستغراب وكأن فكرة المشى بعيدة تماماً عن الطرق أو الوسائل بالنسبة له .

" تعالى . سأوصلك بسيارتى " قالها ثم وقف استعداداً للرحيل .

بالطبع رفضت واحتجت راجعة للخلف مما جعله يبتسم ابتسامة سخرية بسيطة . فى النهاية قادها بسيارته المرسيدس ذات اللون النبيذى إلى مسكنها وعندما خرجت بسرعة تشكره ، تبعها إلى داخل المنزل وأخذ يتلفت حوله .

" هل تسكنين هنا ؟ " سألها باندهاش متلفتاً حوله فى المطبخ وتتبعت بعينيها اتجاه نظرته .

المكان فقير جداً . مشمع الأرضية منفصل عن الأرض . والأدوات تبدو كأنها منذ حرب البوير والله أعلم متى آخر مرة تم دهان الحوائط . أرادت أن تخبره بأنه إذا كان يظن بأن هذا سيئ فماذا سيقول عندما يرى غرف النوم . أخذت تعتذر له عن الحالة السيئة للمطبخ وتشرح له صعوبة الحصول على مسكن ثم اختفى صوتها تماماً وحاولت أن تسرع به للخارج قبل مجيء الفتيات الأخريات واللاتى أوشكن على الحضور من عملهن . فأخذت بذراعه محاولة توجيهه إلى الباب الجانبى إلاّ أنها أحسّت بصدمة لمجرد تلك اللمسة البسيطة فاحمرّت خجلاً ورجعت للخلف مرتبكة.

تشدق قائلاً : " احرصى على منزلى " مراقباً وجهها وتركها بإحساس رغم علمه بأنه مدرك تماماً تأثيره عليها : " آسف - القصر " .

هبطت فجأة فترة صمت فرفعت عينيها مضطرة إليه فأحست برأسها تدور وحلقها يجف تماماً .

أحست بجاذبيته تطغى عليها وتحاصرها . أحسّت بالجو محملاً بالشحنات الكهربائية بينهما .

ولم تسترخ إلاّ عند خروجه فبدت منقطعة الأنفاس مذكرة نفسها بأختها جاكى التى ستموت ضحكاً عندما تراها على تلك الحالة .

* * *

لم تفهم ماذا يحدث لها تماماً ، فى السيارة وهى محاطة بالظلمة وتستمع إلى صوته العميق المثير . بينما يحدّثها عن قصر فريلتون، شعرت وكأنها تغرق فى عصبية واضطراب ولكن بروعة . وكأنّها تشعر بالحياة ولأول مرة . كأنها بطلة الجمال النائم والتى أوقظت من نومها بالقُبلة السحرية .

رأته للمرّة الثانية بعد مضى أسبوعين ولكن بعد ذلك أخذا يتقابلان بصورة شبه منتظمة . عرفت من مسز إيفنز بأنه تلك الأيام يدير أعماله من البيت وهذا يعتبر شىء غريب وغير معتاد .

سواء غير معتاد أو معتادوجدت كلير مجرد التفكير بأنّه موجود بالقصر يجعلها تصحو مبكراً فى الصباح تكاد تطير للذهاب إلى هناك . بالرّغم من أنها لم تسأل نفسها لماذا . وجدت نفسها تسترق السمع لصدى خطوات أقدامه . وأخذت تتعين الفرص لتبقى معه بنفس الغرفة . وبالطبع مع الاحتفاظ بوجود أدوات النظافة معها .

عرفت أنها بدأت تغذّى اشتياقها إلى سماع صوته الجذّاب العميق ورؤية وجهه الأسمر الوسيم . لا زالت تبحث فى الجرائد

عن وظائف ولكن بنصف حماس لوجود عدد كبير يرفض تركها للعمل بقصر فريلتون أو حتى الاكتفاء بالعمل فى نهاية الأسبوع مع احتمال عدم وجوده .

ذات مساء وبينما كانت على وشك الانصراف رأته قادماً من ناحية المكتبة وهو ينادى عليها . وجدت نفسها تبتسم له تلقائياً وهى تتفحص بإعجاب بنطلونه الأخضر والبلوفر ذات اللون الأبيض . يمكنه ارتداء أى شىء وسيحتفظ بوسامته مهما كان ذلك .

نظر إليها نظرة تسلية كسولة ، تعرفها جيدًا عندما ينظر إليها والتى تسبب اضطرابًا وارتعاشًا بجسدها . اندهشت عندما دعاها إلى مشاركته الشراب . " أو ربما بعض القهوة " قالها " إذا كنت لا تشربين " .

" أوه ، أنا أتناول المشروبات " كذبت قائلة وتلوّن خدّاها وأكملت " أفضل ... الجين والتونيك " .

كانت الساعة تعدّت السادسة وفى الخارج كانت السماء كالحة السواد مع إنذار بهبوط ثلوج . إلا أن فكرة وجودها بقربه لبعض الوقت لا يمكن مقاومتها .

تبعته إلى داخل غرفة المكتب بينما ذهب خلف البار الماهوجنى ليعد المشروبات . نظرت حولها وهى تشعر بالضّيق لحالة ملابسها

المزرية بعد انقضاء يوم عمل كامل ولكن على الأقل مرتدية أحسن بنطلون جينز عندها وبلوفر قطن فضفاض ذى لون أزرق والذى يضيف جاذبية لعينيها الزرقاوين وشعرها الأسود .

ناولها شرابها وأشار إليها بالجلوس بينما ارتكز على حافة مكتبه ونظر إليها كأنما من علو شاهق .

بدأت تشعر باضطراب وارتباك كما هو الحال دائماً فى وجوده بالقرب منها . وعندما سألها إذا كانت قد وجدت وظيفة أحسن . نظرت إليه مندهشة أجابته بتلعثم : " لا لم أجد . أنا آسفة . من الصعب إيجاد العمل المطلوب . لماذا تسأل ؟ هل تريد التخلص منى ؟ " بينما تنظر إليه ، تمنت ألا يلاحظ توسلها إليه ، ولكن مجرد التفكير بعدم رؤيته جعلها تشعر بالغثيان . ألقى عليها نظرة حذرة وطويلة " بالطبع لا . لقد تخيلت أن العمل هنا لفتاة مثلك ليس مناسبًا عامًا . على الأقل ليس طوال اليوم . هذا منزل جميل ومليء بالأشياء الجميلة ولكن الوظيفة لا تتطلب قدرات ذهنية عالية . أليس كذلك ؟ وبحكمى على ما رأيت منك فأنت فتاة ذكية . "

تمنت لو أنه توقف عن مناداتها بكلمة " فتاة " . فهى امراة ليست فتاة فى العاشرة ترتدى فستان قطنى مخطط وشعرها بضفائر . عمرها عشرون عاماً أليس كذلك ؟ . ذهبت إلى الكلية .

أليس كذلك وها هى هنا تجلس وبيدها كأس جين وتونيك وبالتأكيد هذا الشراب للبالغين . شربت بعضاً منه وحاولت السيطرة على شعور النفور الذى اجتاحها منه .

" أستمتع بالعمل هنا " تمتمت بغموض وبعناية وضعت الكأس على المنضدة القريبة منها ثم وضعت يديها تحتها لتخفض ارتعاشهما .

" لماذا ؟ "

" لماذا ؟ " نظرت إليه بدون تعبير " لأنْ ... " تلاشى صوتها بينما حاولت التفكير فى سبب مقنع لتفسّر سبب عمل خريجة جامعية مؤهلة لتقوم بعمل مختلف تماماً عما تقوم به الآن من أعمال النظافة بمنزل رائع مثل منزل فريلتون .

" لأن ... ؟ " حثها على الكلام ثم جرّع باقى شرابه مرة واحدة.

راقبته وهى مفتونة برقبته البنية القوية ، أصابعه الطويلة ، رسغيه المنثورين بالشعر الداكن . كانت لاتزال تحملق فيه عندما قابلت عيناها عينيه فأفاقت مندهشة .

" بسبب " قالت وهى تحاول تذكر السؤال .

" لأنه ربما ، تحدّى " تشدق وأكمل " هيا ، كلير ، كونى صريحة معى . هل يوجد سبب آخر لعملك هنا ؟ " تسلّطت عيناه الخضروان بحدة على وجهها " كنت دائماً صريحة . ولكن من

يدرى ؟ ربما يختبئ صديق لك فى مكان ما يتحيّن الفرصة حتى تقررين ما غلى ثمنه وخفى وزنه لسرقته . "

قفزت بغضب على رجليها وخدّاها مكسوان باللون الأحمر .

" كيف يمكنك حتى التفكير بذلك ؟ " سألته بعنف " أنا لن أستطيع ... لا يوجد أى صديق مختبئ فى الخفاء . لن أحلم بـ ... " تضميناته كانت مذهلة أمسكت كأسها من المنضدة وابتلعت المتبقّى فى جرعة واحدة . أحست بالدم يندفع إلى رأسها ولدقيقة شعرت بالإغماء ولكنها أصرّت على أسنانها ونظرت مباشرة إلى عينيه .

" كان هذا مجرّد خاطر عابر . " هز كتفيه وأكمل " أنا مندهش لعدم فهمك خط تفكيرى . كنت أتساءل لماذا فتاة جميلة مثلك على استعداد لقضاء معظم يومها هنا . " أشار حوله " بينما توجد أشياء أكثر إثارة يمكن أن تفعلها فى العالم الكبير بالخارج ؟ " .

" أنا لستُ بفتاة " سمعت نفسها تقول بصوت عالٍ " أنا امراة ! " لقد قال عنها جميلة . أليس كذلك ؟

خُيم صمت طويل أمكنها سماع دقّات قلبها الثقيلة حتى لو أنه لم يسمعها . لم تجرؤ على التنفس وكان لديها إحساس طريف بأنه ينظر إليها بطريقة مختلفة عما سبق . أو ربما يكون هذا من تأثير المشروب ، لربما بدأت تهلوس .

" نعم ، على ما أعتقد أنك امرأة " .

" ولكن ليس مثل نوع النساء التى تعودت على مصاحبتهم ، أليس كذلك ؟ هل هذا ما تقصده ؟ "

" لم أكن أعتقد بأنى أقصد أى شىء . "

" لم تجب على سؤالى . على الأقل أول جزء منه " . لم تكن تلك هى الأسئلة التى ترغب فى سؤالها على الإطلاق ولكن لسبب ما تخرج تلك الكلمات من فمها بدون سيطرة منها ويبدوعقلها فى حالة من الشلل التام . ولأنها واقفة فكان مستوى النظر بعينيها مقابل للنظر بعينيه .

" وهو كذلك " قالها وكأن الأمر ليس بذى أهمية كبيرة لديه " إذا كنت تريدين حقيقة أن تعرفى ، لا فأنتِ لستِ مثل النساء اللاتى تعودت على مصاحبتهن فى الواقع ، لا أستطيع التذكر متى كانت آخر مرة قابلت أى شخص مثلك . هل أنت دائماً بهذا الوضوح ؟

" لا أعتقد فى ممارسة اللعب مع الناس . "

" لا يجب علينا التحدُّث فى هذا . " قالها بنبرة ثقيلة وكان على طرف لسانها أن تسأله لم لا عندما جاءها الرّد الصحيح بالسبب الحقيقى .

هاهما جالسين بمفردهما فى غرفة شبه مظلمة وتلقى بظلال الإغراء ويتحدثون محادثة عاطفية . كان موقفًا يوحى بالخطورة ولكنه شيق ولم تكن كلير فى موقف مثل هذا من قبل .

أتمت عامها العشرين ولازالت حياتها العاطفية محتفظة بنقائها مثل قطعة الثلج . كان لها حقاً أصدقاء شبّان وهذا متوقع إلا أنها كانت علاقات عابرة ، لم تعتبر أى أحد منهم أثّر فيها بدرجة تجعلها تسهر الليالى .

أجابته بضعف " لقد أردت فقط معرفة القليل عنك " .

" عن أى جانب من حياتى على الأخص ؟ "

سألها بلهجته الساخرة المعتادة بالرغم من وجود شىء غير مرتاح فى سلوكه ويحاول جاهداً أن لا يظهره .

نظرت إليه بغموض وقال لها وهو يرفع حاجبيه بسؤال ساخر " الجانب العاطفى ؟ "

الصراحة التى تناول بها سؤاله أصابتها بالفزع والإثارة فى نفس الوقت . ليس معنى هذا أنها لا تعرف عن العاطفة شيئاً ولكن مجرد التفكير فيه فى موقف عاطفى أربكها لا يوجد فقط تحت تلك الملابس جسد قوىٌ حسياً ، ، بل يوجد ما هو أكثر من ذلك بكثير يوجد شخصية ، خليط من القسوة والحسّية وهما ذوا تأثير مُسكر .

وهى بالتأكيد الآن تشعر كأنّها مخمورة جداً . بدون شك الشراب له علاقة بما يحدث لها الآن .

خيم صمت كثيف ثم أجابته بتهور قائلة : " نعم ، وهو كذلك ، لا أستطيع الإنكار بأنى أشعر بالفضول عن الجانب العاطفى من حياتك . هل عاشرت الكثير من النساء ؟ " .

" ماذا تعتقدين ؟ " .

حملقت كلير فيه باضطراب " لا أعرف . أعتقد ذلك . أقصد ، أنت ... " " ماذا ؟ " سألها بنعومة . فقضمت على شفتها السفلى وتتمنى الآن لو أن تلك المناقشة لم تبدأ أبداً .

" جذّاب . على ما أعتقد . " الآن بعد اعترافها بأنها تجده جذاباً شعرت بنفسها أكثر شجاعة .

فقد اعتادت على أن تكون خجولة لهذا النوع من المحادثة لو حدث مثل هذا الحديث من شهرين لشعرت بالذعر وهربت جرياً من الخجل .

ولكن الآن بالرغم من ذلك مشاعرها تتحكم فيها تماماً وفمها يبدو وكأنه منفذ لتلك الأوامر فهى تنطق بأشياء لم تتخيل فى يومٍ من الأيام قادرة على نطقها لرجل ولو بعد مليون عام .

" فى الواقع ، أنا منجذبة إليك بدرجة كبيرة . " أجابته بجرأة كبيرة " .

أخذ يحملق فيها وقوة نظرته جعلتها تحمر خجلاً .

" هذا إطـراء كبير " تمتم وهو يربت على شعره بأصابعه ، "ولكن من الأفضل إبداء إعجابك لشخص قريب من سنك . "

" هل هذا يعنى بأنك لا تجدنى جذّابة ؟ " .

" أنت تضعين الكلمات على لسانى . "

كانت تعرف بأنه يريد الخروج والابتعاد عن الغرفة ولربما المنزل كله ولكنها تقف أمامه مباشرة ، تسد عليه الخروج السهل .

" أنا لست منجذبة إلى فتيان قريبين من عمرى . فهم غير ناضجين . لا يمكنهم التأثير فىّ . "

هى الآن تتنفس بسرعة وكف يديها رطب بالعرق .

" أنت لا تعرفين ماذا تقولين . " قالها بقسوة ، " لربما تأثرت بالشراب . "

" لا . هـذا غـير صحيـح . " وخطـت نحـوه خطـوة محاولـة الاقتراب منه .

أصبحت عيناه داكنة وكانت مسرورة لرؤيته يفقد السيطرة .

هل هذا يعنى بأنه منجذب إلى ؟ تساءلت . لم يقل ما يخالف هذا الرأى ، هل فعل ؟ . ولقد دعاها بـالفعل لمشاركته الشراب . ليس من الضرورى عليه أن يسألها أليس كذلك ؟

لا يوجد غير طريقة واحدة لتكتشف بنفسها . وبحركة مندفعة حاولت تقبيله .

اجتاحها هذا الشعور بقوة كأنها لم تعد تلمس الأرض بقدميها وكأنها نقلت إلى مكان آخر جديد تماماً ، رفع يديه ليحتضن وجهها جاذباً إيّاها إليه يكاد يلتهمها بوحشية مما جعل الدم يغلى فى عروقها.

وعندما امتدت يده يلاطفها أحست برغبة عارمة تملؤها وشعرت به قريباً منها . سمعت صوتها يتوسّل إليه " مارس الحب معى . أنا أريدك . أحتاج إليك . أحبك " .

كانت مغمورة بقوة احتياجها إليه فلم تشعر بجموده وابتعاده عنها إلا بعد مضى ثوانٍ قليلة ، فتحت عينيها ونظرت إليه بتحير .

" ماذا حدث ؟ " سألته . كارهة أن يفارقها الإحساس السابق ولكنها تعرف بأنه ليس لديها أى خيار آخر .

" ماذا بحق الجحيم تعتقدين ؟ " أصرّ على أسنانه رافعاً إياها على قدميها لإزاحتها بعيداً عنه .

" أعتقد أنه حان الوقت لتنصرفى " .

" لماذا ؟ ماذا فعلت ؟ " .

" لا يوجد مكان فى حياتى لطفلة مفتونة " قال بلهجة جادة لاذعة مما جعل عينيها تمتلأن بالدموع " كـل هذا خطئى اللوم يقع علىّ

بأكمله " . ثم أكمل " أنا سعيد برجوعى إلى كامل قواى قبل فعل شىء أندم عليه بقية حياتى " وقف مبتعداً وقال بعدم اكتراث :

" يمكنك البقاء لمدة دقيقتين حتى تستردى قواك ثم اقترح عليك الرحيل "

" ولكنك لم تفهم ، فأنا أحبك " .

" لا تعرفين معنى تلك الكلمة " قالها بخشونة " وعلى ضوء ما حدث هنا الليلة . ربما من الأفضل عدم رجوعك للعمل هنا " .

" لا " حملقت فيه بعناد صامت . أخيرًا قال بتنهيدة عميقة " وهو كذلك . يمكنك البقاء ، ولكن ابتعدى عن طريقى . سأكون هنا طوال الأسبوع القادم ولا أريد ... يمكننى القول فقط بأننى بشر " .

ألقى عليها نظرة بعدم صبر وقسوة ثم رحل وتركها تقف فى منتصف الغرفة بمفردها تتساءل ماذا ستفعل الآن .

• • •

الفصل الثالث

لا يمكنها الرحيل . ترجع بذاكرتها للتفكير فيما حدث ، والله يعلم كيف فكرت فيه ملايين المرات فى الشهور القليلة الماضية ، والآن تمنت لو أنها كانت نجحت فى الابتعاد عنه . كان يجب عليها القضاء على حبها فى المهد ولربما كان أمكنها الابتعاد عن هذه العلاقة بكل كبرياء وبدون أذى لاستقرارها العاطفى .

ولكنها لم تذهب ولفترة استقرت الأمور فى شكل غير مريح . من النادر وجود جيمس وعند تواجده يتجنب القرب منها . المرات القليلة التى تقابلت معه فيها كان يعاملها بأدب بارد وفى المقابل تحاول إخفاء حنينها إليه .

لم تخبر والديها بما حدث ولابد أنهما سيصابان بصدمة لتصرفها، وكذلك لم تخبر جاكى والتى كانت ستصر بأن هذا الأمر مجرد افتتان فتاة وهذا نتيجة لحياتها المنغلقة بعيدًا عن الجنس الآخر .

عندئذ حدث الشىء الغير متوقع ، ذهبت إلى وكالة إعلانات صغيرة فى طور النمو بناءً على إعلان بالجريدة وتقابلت مع مدير الوكالة بعد ملئها طلب تقدم للوظيفة . أخذ ينقر على المكتب بنفاد

صبر وكأن لديه أمور أكثر أهمية تشغل باله . ويريد إنهاء المقابلة بسرعة .

نظرت كلير إلى الرأس المنحنى أمامها بكآبة . فقد أخذها فى جولة حول مكاتب موظفى الوكالة وعرفت مهام الوظيفة فى حالة حصولها على العمل بالوكالة . نوع تلك الوظيفة هو ما كانت تتشده وتطلبه دائمًا منذ مجيئها إلى لندن لأول مرة ، بالعمل فى تلك الوكالة لن يمكنها المحافظة على عملها بقصر " فريلتون " ولو حتى فى نهاية الأسبوع . فقد تطلع إليها تونى ، صاحب الوكالة ، منتظراً رأيها فى تركها للعمل بقصرفريلتون والانضمام إلى فريق العمل بشركته .

" حسناً ؟ " سألها أخذت تنظر إليه مدركة لمعنى تلك الكلمة فإما القبول أو الرفض . بالنظر إلى تونى وجدت أنه وسيم أشقر يشبه أدونيس ذو صوت عالٍ أنثوى . ويحدوها التفكير فى أن لا يسافر إلى أى مكان بدون فرشاة الشعر فى جيبه ويدمن النظر إلى نفسه فى المرآة ، لكنها تعرف بأنه يخفى عقل حاد الذكاء وذلك بعد رؤيتها لبعض أعماله الرائعة.

" نعم . أقصد لا . أقصد .. " قالت محاولة استجماع شتات ذهنها بمجهود " يجب على إعطاؤهم مهلة قبل تركى للعمل لربما يومين أو أكثر . "

" حسناً " نظر إلى ساعته وابتسم لها أول ابتسامة منذ وصولها منذ ساعتين " فى تلك الحالة ، يمكنك البدء من يوم الاثنين القادم . الساعة الثامنة والنصف صباحاً . ستعتنى بك ساندرا حتى تقفى على قدميك ، وسيرسل إليك شئون الموظفين عقد العمل فى البريد اليوم . وستحصلين عليه غداً أو بعد غد على الأكثر " .

انفتح فم كلير دهشة .

" أستطيع رؤية سعادتك " قالها تونى بسذاجة " لست فى حاجة لإخبارك بأنك كنت واحدة من الثلاثين المتقدمين للوظيفة . تقدم لنا عدد أكبر مما توقعنا . " وقف فتبعته مسرعة " لا بدّ لى من الإسراع الآن . فلدى عدة اجتماعات . " فتح لها الباب للانصراف .

كانت لاتزال فى حالة من الانبهار حتى لدى وصولها قصر فريلتون . قضت فترة الظهيرة تنفض الغبار وتنظف بعصبية وعداونية كانت تقوم بمسح الغبار عن صف من الكتب فى غرفة المكتب عندما انفتح الباب التفتت للخلف فرأت جيمس واقفاً على عتبة الباب ينظر إليها كأنها فقدت قواها العقلية .

نظرا إلى بعضهما البعض فى صمت لبرهة ثم تحرك فى اتجاه المكتب وقال لها بجفاف .

" تبدين كأنك على وشك قتل أحد ما . لم أعتقد أن نفض الغبار عن بضعة كتب يمكن أن يفعل ذلك لأى أحد " . بدأ بالضغط على

مفاتيح جهاز الكمبيوتر الشخصى على مكتبه مديراً ظهره لها . وتساءلت إذا كان نسى وجودها فى نفس الغرفة .

" حصلْتُ على وظيفة " أبلغته بضيق وتوقف هو عما يفعل واستدار مواجها إيّاها .

كان من الواضح أنه حضر لتوه من عمله . لم يكن مرتدٍ لجاكته وأكمام قميصه مرفوعة للكوعين بعدم اهتمام ولكنه لازال مرتديًا لبنطلون بدلته وكرافتته الحريرية بلون النبيذ البراجندى قد شدت قليلاً لأسفل ليمكنه من فك الزر العلوى لقميصه هل يعرف كم يبدو رائعاً ، واقفاً هناك ، يتطلع إليها بهاتين العينين النافذتين ؟ .

" تهنئتى " قالها بأدب " حسناً فعلت . أين تكون ؟ " .

وأخبرته بسعادة طاغية عن المميزات التى قدّمت لها . ومع ذلك كان صوتها أثناء الحديث خالٍ من الحماسة .

" على ما أعتقد تحس الآن بالارتياح " أنهت حديثها وتطلّعت إليه بتحدٍ .

" ولماذا يجب على هذا ؟ " .

" لأن " أكملت بدون رحمة ، " لن تحتاج بعد الآن لتفادى افتتانى الطفولى لك " ماذا ستخسر بعد أن تقول ما تريد ؟ سألت نفسها بعنف . هذا جعلها تصرّح بما فى صدرها على أية حال .

" افتتانك الطفولى بى كان إطراءً كبيراً لرجل كبير فى السّن مثلى " قالها بابتسامة متجهمة " ولأول مرة بدأت أفهم لماذا بعض كبار السن لا يستطيعون مقاومة إغراء النساء صغيرات السن .. "

لقد لقبها بامراة وهذا يشعرها بالسّعَادَة . وقفت ويديها خلف ظهرها ورفعت ذقنها عالياً وسألته " تتصرف كما لو كان عمرك مائة . كم تبلغ من العمر ؟ " .

" هل يجب عليك أن تكونى شديدة الوضوح هكذا ؟ سألها وعلى وجهه شبح ابتسامة .

" تعرف أن هذه طريقتى " أخبرته بمنتهى البرود ، بالرّغم من أن حنجرتها تبدو مثل ورق السنفرة .

" أبلغ الرابعة والثلاثين " .

" هل هذا كل عمرك ؟ "

" هل تقصدين بأنى أبدو أكبر من هذا ؟ " ضحك " راقبى ما تقولين . لربما أصاب بعقدة . "

تلك هى المرة الأولى منذ فترة الصمت غير المريح بينهما ، يتحدّثان بدون تحفظ . وشعرت بنفسها تنفتح له وتسترخى . فهو الرجل الوحيد القادر على فعل هذا بها . يشعرها بالثقة بنفسها ليجعلها تتحدث بدون تفكير وبدون توقع أى نتائج .

" أقصد " فسرت له " بأنه عمرك صغيراً جداً لتمتلك كل هذا " . وأشارت له من حولها " هل ورثته ؟ " .

" ليس تماماً . هل ترغبين فى شراب ؟ أى شىء ماعدا الجين والتونيك " .

هزت رأسها بالنفى وأحمرّت خجلاً للنظرة التى مرت بعينيه عندما قال هذا .

استدار وسكب لنفسه مشروب من البار وأكمل حديثه " امتلك عمى كل هذا وعلى ما أعتقد كنت دائماً أحب هذا المكان منذ كنت طفلاً صغيراً توقعت امتلاكه فى المستقبل - كان عمى بدون أطفال- ولكن منذ ثمانى سنوات مضت واجهته صعوبات مادية . مصادفة عندما بدأ عملى يزدهر فاشتريت منه كل هذا " .

واجهها واستطاعت رؤية الفخر فى تعبير وجهه عندما أدار عينيه فى أركان الغرفة .

" أين يعيش هو الآن ؟ "

" توفى منذ عامين مضيا " قالها بفظاظة " بدون نقود ، وقيل : إنه خسر نقوده فى لعب القمار " " هذا محزن جداً " قالتها بتعاطف ولكنّها لم تستطع فهم كيف لإنسان خسارة كل تلك الأموال فى القمار . فلقد أمضت حياتها تحت إرشاد والديها فى كيف تحافظ

على نقودها . بالإنفاق على الضروريات والادخار لوسائل الرفاهية القليلة ، وهذه صفة ورثتها هى وجاكى إلى حدٍ معين .

"وماذا عنك ؟ " سألها وهو يتطلع إليها من تحت رموشه . " هل أنت بريئة كما تبدين أم تخبئين بعض الأسرار الخطيرة ؟ " .

أسرار . مجرد التفكير بهذا سخيف . ابتسمت وتحدثت بسعادة عن والديها وأختها وعن طفولتها وعندئذ نظرت بدهشة إلى ساعتها لتلاحظ تأخُر الوقت . إذا لم تسرع فسوف يفوتها الأتوبيس وعندئذ ستضطر لتنتظر خمس وأربعين دقيقة لميعاد الأتوبيس الآخر ، إذا وصل فى موعده وهذا غير مضمون .

ضحكت معتذرة على ثرثرتها وقالت بسرعة " يجب أن أذهب . على ما أعتقد أصابك الملل منىّ ولكنى هكذا عندما أتحدث عن عائلتى . لقد حضرت حقيقة لإخبارك بأنه من يوم الاثنين القادم يجب عليك البحث عن بديل عنى . "

" من المؤسف حدوث هذا " . نظر إليها بثبات مما جعل رأسها ينبض .

أصبح الجو ثقيلاً وعندما خطا نحوها شعرت بكل عصب فى جسدها ينبض بالحياة .

" تعرف جيداً بأنى لا أريد الرحيل " تمتمت بأنفاس متقطعة " تعرف لماذا . ما أشعر به تجاهك ليس بافتتان . أنا فى الحقيقة

www.elromancia.com

أحبك أعرف أنه يبدو مفاجئاً ولكننى أعرف ما فى نفسى جيداً . " الآن ، فكرت ، بأنه سيبعدنى عنه سريعاً ، ولأننى لا أريد الابتعاد ، كان يجب أن لا أتكلم . ولكنه لم ينطق بكلمة رداً على هذا على أية حال .

تكلم فقط عندما أصبح قريباً منها جداً .

" أنا لا أبحث عن الحب " .

لم يكن هذا ما توقعت سماعه منه . توقعت ظهور شعور الانقباض على وجهه مثل ما حدث أول مرة أخبرته عن حبّها له وتوقعت كذلك طرده لها .

" لا ؟ " قالتها باضطراب وكأنه لمسها ولكن يديه كانتا فى حيوية .

أكمل قائلاً : " الحب يعقّد كل شىء ولا أريد أى تعقيدات فى حياتى . أرغب فيك - شيئاً ما فيك يجذبنى إليك ربما تلك الصراحة والوضوح أكثر خطورة مما كنت أظن أساساً - ولكنّى لا أريد امراة تلتصق بى بعد ذلك " .

" لا " كررت رفضها على الرغم من افتتانها به لتلاحظ ما يقول .

" لقد فعلت ما فى وسعى لمحاربة شعورى هذا . ذلك الانجذاب الذى أشعر به تجاهك ، ولكن كما تقولين ، لم تعودى طفلة " .

" نعم " شجعته . ماذا سيحدث الآن ؟ تساءلت عندما ألقت بنفسها عليه كان الأمر هيناً فقد تصرّفت تبعاً لحواسها ولكن الطريقة التى أملى عليها شروطه وقراراته أصابتها بحيرة ، على الرغم من أنها وبالنظر إليه الآن تريده أكثر من أى شىء أو أى شخص آخر فى هذا العالم .

"إذا كنت أخيفك ، فأرجوك ارحلى " قالها بحدة ، همست قائلة : " أنت لا تخيفنى " ابتسمت له و وضعت يدها على صدرها خوفاً ، ماذا يريد أن يفعل بها ؟ هل ستحدثه بهذا الشكل ؟ .

جذب يدها بعيداً وابتسم مما غير من ملامح وجهه تماماً . لم تعد خائفة الآن . جعلته يأخذها معه إلى غرفة نومه وعندما أغلق الباب من خلفه شعرت بخليط من الإثارة وقليل من الخوف فى نفس الوقت .

هذه هى المرة الأولى التى تصعد فيها لغرفة نومه . اعتادت مسز إيفنز تنظيف غرف معينة فى المنزل وغرفة النوم من ضمن تلك الغرف ولهذا تطلّعت حولها فى فضول ، فدولاب الملابس مجدد ، الغرفة من الخشب الخالص شديد اللمعة ، وسرير ضخم

مطلى بدرجات اللون الأحمر . غرفة نوم رجل لا يوجد بها أى لمسة لامرأة لكن كيف سيوجد لمسة لأية امرأة بعدما أخبرها بعدم حاجته إلى امراة تعقد حياته ؟ .

نظرت إليه بدون أن تنطق بكلمة وقال لها مهدئاً : " استرخى . تبدين كما لو أنك على وشك التعرض للتعذيب الرهيب "

قوله هذا جعلها تضحك فقال موافقاً : " هذا حسن " .

" لم يسبق لى ... " بدأت باضطراب " أنت الأول ... " .

" هذا جيد " تمتم بصوت بح وهو يفك كرافتته ليلقيها على الكرسى من خلفه ، وضعت كفيها على صدره وأطلقت تنهيدة عميقة . بعد كل هذا الوقت وهى تحلم به فمن الصعب تحمل البهجة الشديدة عندما شعرت به أمامها

" لا تعرفين كم أنت ، رائعة " قال لها وهو يحتضن وجهها بيديه " هاتان العينان الزرقاوان وتلك النظرة البريئة تجعلنى أشعر كما لو كنت ذئباً مفترساً ، ابتسم ونظرت إليه بخجل قائلة .

" لا تفعل . فأنا لا أريد أى أحد سواك " وكادت تقول ذلك له لأنها تحبه بشدة ، ولكنها تذكرت ما قاله لها .

* * *

و بكل رقة وصبر . حملها وبدأ يسير بها فى اتجاه السرير ثم قال لها بجدية " لازال يوجد وقت لتغيّرى من رأيك . لن أفعل أى شىء لا تريدينه . "

أنا أريدك يا " جيمس فورستر " . ، قالت له بأمانة ، " ولن أغير رأيى أبداً أبداً " .

" لا يوجد شىء فى الحياة دائم ، تذكرى هذا " قال لها ذلك باقتضاب ؛ وتمنت لو أنها لم تقل له هذا ولكنه لن يشرح معنى تلك الجملة أكثر من هذا .

وبعد مضى وقت طويل عاشا سوياً أحاسيسا ممتعة .

" لم نأخذ أية احتياطات " ، قال لها مواجهاً ، " لا أريد أن يحدث أى حمل ولا أتخيل بأنك تريدين حدوث حمل كذلك " .

" لا ، بالطبع لا " . قالتها وتقصد بأنه لن يوجد ما هو أجمل أن يكون لديها أطفال منه ولكنها تعرف جيداً رأيه فى هذا الموضوع .

" أنت صغيرة السن " قالها بثقل " ولازالت الحياة بأكملها أمامك، أما بالنسبة لى فإنى أريد فقط وريثاً " للتاج " أكثر مما أريد أن أتزوج من امراة لتشاركنى فيه " . نظر إليها عندما قال هذا فسيطرت على مشاعرها حتى لا يظهر ألمها لذلك . تعرف لماذا يفعل ذلك فهو يحذرها كما فعل منذ البداية .

" لماذا أنت بتلك المرارة ؟ " . سألته وهى تتطلّع فى عينيه الخضراوين .

" هل تبدو لك مرارة ؟ " ثم فكّر فى الأمر وأجاب " نعم أعتقد ذلك . الحقيقة أن التجربة علمتنى الكثير من الدروس وأول درس هو عدم الثقة الشّديدة " .

" هل كنت كذلك ؟ شديد الثقة أليس كذلك ؟ " وبدأت تتحسس وجهه ، فأمسك يدها بيده .

" والدرس الثانى القيم " ، سألته فقال متجاهلاً سؤالها " هو أن الفضول قتل القطة " .

" تعنى أنك لا تريدنى أن أسألك أى سؤال عن حياتك الخاصة .

" هذا صحيح " .

" ولكنى أريد أن أعرف أكثر عنك " خرجت الكلمات من فمها قبل أن تسنح لها الفرصة لتمنع خروجها . ثم رأت تعبير وجهه يصبح منغلقاً وحادًا . كيف يمكنه التغيير بتلك السرعة ؟ تساءلت بتعجب فى دقيقة يصبح شديد اللطافة ثم فى التالية كما لو أنها تنظر إلى غريب وكأنه سيبقى هذا الغريب .

" لست فى حاجة إلى امرأة تتشبث بى يا كلير ، حاولى أن تفهمينى . أنت فتاة جذّابة ولكن لست بتلك الجاذبية الشديدة " .

شعرت بالدموع تلسع عينيها عند سماعها ذلك فنظرت بعيداً بسرعة ، حاولت أن تعزّى نفسها ، على الأقل كان أميناً فإنه لم يكذب عليها بقصة عاطفية عن حبٍّ دائم للأبد حتى يحافظ على علاقته بها. كان يجب على الأقل أن تشعر له بالامتنان .

" بالتأكيد لك طريقة مميزة فى الكلام " قالتها بعدم ثبات ، فرجعت الابتسامة الكسولة لوجهه .

" وكذلك أنت " . قبّلها وهى تفقد نفسها فى دوّامة جديدة من العاطفة .

ولو كان ما يريده فقط علاقة بدون أية التزامات ستعطيه هذا . الحب يفعل أشياء غريبة بالشخص يجعله أعمى للنتائج التابعة لعلاقة ما . لم تحلم أبداً بأن تكون عشيقة لرجل وتقبل بشروط اللعبة من شخص آخر . تخيلت دائماً بأنها عندما تقع فى الحب سيكون هذا الشعور متبادلاً وكذلك كل الرومانسية التى اشتاقت إليها . لقد راقبت أختها وهى تقع فى الحب مع أصدقائها الشبان ثم تنفصل عنهم ، ولهذا قررت كلير عدم خوض التجربة بدون حب . بالنسبة لها الحب علاقة رائعة من القلب فى كل شىء فى حياتها فقد ألهمها فى أحلام طفولتها كيف لها أن تعرف بأن تلك الرغبة المجنونة أو الحب الأحمق ستكون مؤلمة ، والأسوأ أنها من طرف واحد ؟ .

أيضاً لم تعرف بأنّ لتلك العاطفة القوة لتمسكها فى قبضتها بالرغم من التحذير الصادر من عقلها بالرحيل . وكلما أمعنت التفكير فى ذلك كلما أحست بأنه لم يكن لها الخيار أو لربما قوة مشاعرها ناحيته وضعتها تحت رحمته منذ أول وهلة قابلت عيناها عينيه .

لا زال بداخلها الأمل فإنه فى يوم ما سيرد لها عواطفها بأنه يحبها وأنها تمكنت من خرق الحاجز الذى بناه من حوله والذى يقف بينهما كدرع غير مرئى مهما حاولت اختراقه .

فى البداية ، كان لديها كل ثقة الشباب ، الاعتقاد الرائع بأن حبها سينتصر فى النهاية ، وإنه لن يتمكن من مقاومة إخلاصها التى تغمره به . لم تقع من قبل فى الحب ، والرغبة الجامحة لتكون معه ، والنشوة التى تشعر بها عندما تكون بالقرب منه ألقت بها فى كون آخر لا ينتهى ، غريب ، حيث لا يوجد مكان للعقل أو التفكير السليم. ومجرّد التفكير إنه يرغب فيها يجعلها تشعر بنشوة قوية ولكنها عندما تسأله عن مدى رغبته لها ينظر إليها مبتسماً كما لو أنه كان يتوقع منها أنّها بالنظر طويلاً فى عينيه ستعرف الإجابة .

ولكنها لم تعرف الإجابة بأية حال بالرغم من أنها تذكرت أنها نظرت فى وجهه بعدما تبادلا الحب لأول مرة فلم تلحظ أى اهتمام

الفصل الرابع

" لقد قررت زيارتك " . سمعت كلير صوت أختها يخبرها بذلك فنظرت آلياً من حولها لتتأكد من عدم وجود تونى رئيسها . فهو فى إحدى حالاته المزاجية السيئة ويبحث عن كبش الفداء ليصب جام غضبه عليه ولن تحتمل كلير أن تكون كبش الفداء . فلم تنم ليلة أمس . عيناها ورأسها يؤلمانها . ولديها شعور مرعب بأنها على وشك الانهيار . تمنت لو أنها أخذت كل حياتها إجازة . ولكن هذا يعتبر جبناً وبعداً عن الحقيقة ولقد أمضتْ وقتاً طويلاً تتظاهر بأنها يُمكن بقليل من الصبر تغيير الأشياء .

رؤيتها لتلك الصورة حدّد لها الوقت للخروج من حياة " جيمس " وهذا لم يكن سهلاً فى البداية ، لم تعتد على اتخاذ أى قرار من هذا النوع. الآن بعد ابتعادها عن " جيمس " يجب أن تذكر نفسها بأن هذا القرار هو الأحسن . كل ما تحتاج إليه هو بعض الرّاحة ، الانفراد بنفسها لتعيش فى سلام .

" لا يوجد مبررًا لذلك " أخبرتها كلير وهى تنظر فى اتجاه غرفة تونى .

" بل الحاجة شديدة لذلك . هذا الشىء هو علاقة ، كما تدعينها أو كما يحلو لك ، استمرت لفترة طويلة جداً ... " " تبدين مثل أمىّ عندما تتحدث عن وصفة طعام . " " لا تقاطعينى . أين كنت ؟

أوه ، نعم. لفترة طويلة جداً . فلابد وأنك ترتجفين عصبياً ، كلير . سأحضر لك على الفور وأرتب لك كل شئونك ، ستستغرق الرحلة ٤٠ دقيقة فى الطريق السريع ، وسأصل عندك فى السابعة مساءً " .

" لقد أخبرتك . لا يوجد الدّاعى لذلك . لقد انفصلت عنه " ليس هذا سيئًا . اعتقدت أن الصوت الذى يتردد بداخلها قائلاً هذا كما لو أنها معتادة ومن هواياتها الانفصال عن الرجال بصورة منتظمة ، وضعت رأسها بيديها وأخذت ترمش بسرعة .

" ماذا فعلت ؟ " .

" انفصلت عنه يا جاكى ؟ " أجابتها " لقد أخبرته بأن علاقتنا منتهية . "

" وصلتنى رسالتك " قالتها جاكى وهى مندهشة ، " لازلت غير مصدّقة أذنى ، ولكن حقيقة وصلتنى الرسالة . "

" ألن تهنئينى ؟ " سألتها بمرارة " على أية حال ، لقد واظبت على الحديث عن هذا طوال الأشهر الماضية أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، ولكن .. "

" لقد أخبرتينى دوماً بأن علاقتنا إلى زوال وأننى كنت مجنونة، غبية ، ساذجة ، طفلة ، وما هى الصفات الأخرى ؟ " .

" وهل كنت مخطئة ؟ " سألتها جاكى بهدوء واهتمام بصوتها ، " لم أفعل هذا إلا لحبّى لك " .

" أعرف هذا " . تنهدت كلير ، صوت يأس صغير أخفته تحت ستار من ضحكة جافة ، " كنت محقة على الدّوام ، بالطبع ولأكون عادلة ، فهو لم يخدعنى فى الاعتقاد بأن علاقتنا ستدوم أو ستتطور إلى ما هو أكثر من ذلك . نحن سفن تمر ببعضها فى الليل ، هكذا كنا " . هذه المرة ضحكتها هيستيرية وحاولت محاربة شعورها بالغثيان " ولكن الذى أخفاه عنى هو أنه كان متزوجاً " .

شهقت جاكى مصدومة ، فبدأت كلير تحدثها عن " أوليفيا " على أية حال هى لم تعرف الكثير فلم يخبرها إلا بأقل القليل . كيف كان شكلها ؟ كيف ماتت ؟ كل هذه الأسئلة أخذت تدور برأسها وكلما أمعنت التفكير فى " جيمس " وزوجته " أوليفيا " كلما شعرت بنفسها تقترب من حافة الجنون وكلما ازدادت كآبة ؛ لأنه من الواضح أنه أحب زوجته بجنون وحبه قضى عليه فى المهد ، لم تخبر جاكى بكل هذا ولكنها على الرغم من ذلك تدرك بأن أختها توصلت لنفس هذا الاستنتاج ليس من الضرورى أن تكون شرلوك هولمز لتتوصل لسبب رفض جيمس الارتباط بالتزامات نحو امرأة أخرى ، بدون شك عندما يتزوج سيكون الأمر شبيهًا بعملية تجارية بحتة بشروطه ولا يلتزم تدخل العاطفة .

جاكى ، بعد انقشاع الصدمة عن عينها ، بدأت تضغط على كلير بالأسئلة . " ماذا قال لك ؟ "

" هل انهار ؟ " هذا السؤال أضحك كلير لأول مرة فى هذا اليوم . جيمس فورست ، ينهار ؟ يالها من سخرية ! من المحتمل أنه اكتسب كيفية السيطرة على النفس منذ المهد ، بطرف عينيها لمحت تونى يخرج من مكتبه . بسرعة أنهت مكالمتها مع أختها ولكن ليس قبل أن يلمحها تونى ، اقترب منها فنظرت إليه بحذر . والفتيات على الجانب الآخر يتظاهرن بالعمل ، ولكنها تعلم أنهن كلهن آذان صاغية ، فى انتظار انفجار تونى .

" مكالمة شخصية ؟ " سألها بسخرية . " لا أعتقد بأنك أكملت عمل التصميم على إعلان كولونيا بعد الحلاقة ، ولكن لديك الوقت للمكالمات الشخصية . ياللدهشة . " ألقاها بابتسامة سامة . لو حدث لها هذا من بضعة أيام ماضية لربما أحمرّت خجلاً وتمتمت له باعتذار ولكن الآن كلير على حافة بركان من الغضب ، ردّت له ابتسامته بنظرة باردة وأخبرته بأن هذا التصميم على الخصوص قد أكملته .

معظم الأوقات يكون تونى شخصية ظريفة ولكن عندما يكون متضايقاً من شىء يصبح شخصية ديكتاتورية غير محتملة والآن شعرت كأنها اكتفت بكونها مطيعة ضعيفة .

" حقاً ؟ " قالها وبدا مأخوذاً فأحضرت أوراق التصميم من مكتبها وقدمتها له .

" نعم حقاً " ابتسمت بأدب ، فبدا كأنه يريد قول المزيد ولكنه انسحب متمتماً بينما يقلب فى أوراق التصميم ، بينما كارن وآن يكتمان الضحكات " ماذا حدث لك ؟ " سألت كارن وهى لاتزال تضحك ، بالرغم من أن عينيها يفضحان فضولها .

" فلم يسبق من قبل وأجبتِ على تونى هكذا أبداً وكأنك صفعت وجهه " .

" لا تخبرينى بأن موسى انقلب فرعون " . تمتمت آن وهى تبتسم بحنو لكلير . فمنذ وصولها إلى الشركة وكلتا آن وكارن يحميانها ويضعانها تحت جناحيهما .

" يمكن وصفها بهذا الشكل " . قالتها كلير باقتضاب فعبست كارن .

" لا يمكن أن تكونى قد تغيرتِ " . همست " فأنت متفائلة على الدوام بالمقارنة بالموجودين هنا . " تلفتت حولها بطريقة مسرحية مما أضحك كلير . " لقد نضجت " . قالتها بجدية وأدركت بأنها حقاً تعنى هذا القول . شعرت بأنها أكبر أعواماً وأحكم قروناً . وعندما أدركت هذا أعطاها إحساساً بالقوة مكّنها من تصديق مقولتها .

" فى خلال أربعة وعشرين ساعة فقط ؟ " .

" شىء من هذا القبيل . "

www.elromancia.com

" كفى ثرثرة " صرخ تونى فيهم عبر الغرفة ، التفتت إليه كلير وقالت له بثقة بالنفس باردة لم تعرف بأنها تمتلكها ، " لا زلنا قادرين على متابعة عملنا . خمس دقائق حديث بينما نؤدّى عملنا لن تؤذى أحداً . " هذه المرة ساد الصمت الغرفة بأكملها . وللحظة ، فكرت كلير آه ، النجدة فلقد تخطّيت حدودى ولكن عندئذ ابتسم تونى وهز كتفيه بأناقة .

" بماذا يمكننى الرد على هذا الكلام الصحيح ؟ " إنه متقلب مثل طقس الصيف ، سريع الرعد ولكنه يكون كالشمس مرة أخرى عند انقضاء التقلب . اختفى فى غرفة مكتبه فأعطتها كارن إشارة النصر بإصبعيها .

انتصار صغير فى عالم الخيال . بينما تمارس عملها ، يداها تعملان آلياً ، تفكيرها يدور حول جيمس .

بالطبع ، يجب عليها أن تغادر الكوخ . مجرد التفكير بأنها لا تزال تعيش فى ظله ، حتى ولو سمح لها بهذا يقودها إلى الجنون .

عندما انقضى الوقت وأصبحت الساعة الخامسة والنصف ، كانت كلير قد قررت ما هى خطتها ، ستذهب إلى جيمس لتلملم حاجياتها والذى سيأخذ فقط خمس دقائق من وقتها وهذا لقلة أشيائها هناك عندئذ ستذهب للقصر لتعطى لمدبّرة المنزل المفتاح . لن

يكون جيمس حاضراً . من النادر وجود جيمس الساعة الثامنة مساء وأحياناً لا يحضر على الإطلاق لتفضيله البقاء بلندن لو كان عنده اجتماعات لوقت متأخر ليلاً .

تقريباً طارت إلى الكوخ شعرت أنها غريبة فبدأت تلقى بأشيائها فى حقائب ، بدأت بغرفة النوم ثم تدريجياً طريقها إلى أسفل حتى المطبخ وهى تلقى وتنظف كل علبة توابل فى الحوض . وكل واحدة تذكرها بالوجبات العديدة التى كانت تصر على إعدادها خصّيصاً له على الرغم من اعتراضه على هذا المظهر من الإهتمام به .

أصبحت الساعة العاشرة والنصف عندما انتهت من تنظيف الكوخ وحزم حقائبها . ووضعت حقائبها وبعض الصناديق بجانب الباب الأمامى لحين رجوعها فى وقت آخر لتأخذها عندما تجد مكان إقامة دائم لها . فى خلال هذا الوقت ستقيم مع كارن والتى تسكن بالقرب من المكتب . جاءها هذا التفكير فجأة فاستأذنت كارن التى كادت تنفجر من الفضول ولكنها طيبة القلب فسمحت لها بالبقاء معها بدون سؤالها عن السبب، " لن يكون مثل المكان الذى تعودت على الإقامة فيه من قبل ." قالتها معتذرة ، فابتسمت كلير قائلة بل سيكون أحسن بكثير، مما جعل كارن تبدو مندهشة فهى تعرف

القليل عن حياة كلير بالرغم من أنهما يريا بعضهما اجتماعياً على الأقل مرة فى الأسبوع، عادة أثناء وجبة سريعة فى مركز المدينة ، وحضرت مرتين من قبل للكوخ وكانت تبدو شديدة الانبهار .

بالطبع كان لها كل الحق ، نظرت كلير من حولها وهى تحارب حزنها . كل ركن ، كل انحناءة ، كل زاوية ، تحمل فى جوانبها ذكرى ويدهشها بأن تعرف أنه جزء هام من حياتها . كانت تبدو وكأنها لم تحيا من قبل أن تراه .

قادت دراجتها إلى القصر وهى تقودها بجانب الطريق حتى تتأكد من عدم وجود سيارته وعندما لم تجدها أطلقت تنهيدة ارتياح بينما أطلقت ساقيها للريح ودقّت الجرس .

كان يمكنها الانتظار حتى الغد لترجع المفاتيح ولكنها يمكنها التخلص منها بأسرع وقت . فلقد شعرت بأنها فعلت ما يجب عليها أن تفعله وكلما تخلصت بسرعة من الأشياء التى تذكرها به كلما كان أسرع لها التغلب على آلامها .

دقت ثلاث دقات أخريات بنفاد صبر وهى تدق بقدميها على الأرض وتنظر إلى ساعتها . لم تحب قيادة دراجتها فى هذا الوقت من الليل وخصوصاً بأنه سيستغرق منها حوالى نصف الساعة من قيادة الدراجة بسرعة للوصول إلى منزل كارن .

أين هى بحق الجحيم مسز إيفنز ؟ كانت على وشك دق الجرس دقة أخرى ، لمدة طويلة و بغضب شديد ، عندما انفتح الباب فجأة ووجدت نفسها تحملق فى " جيمس " . أغلقت فمها ولكنها لم تستطع مسح نظرة الصدمة من على وجهها .

كان مرتدياً ملابس مريحة ، بنطلون أسود وبلوفر سميك أبيض وكانت أكمامه مرفوعة حتى الكوعين . كان يضع يديه فى جيوبه ونظر إليها متطلعاً .

" ماذا تفعل هنا ؟ " قالت أخيراً وكأنما وجدت صوتها .

" أقيم هنا " قال لها معطياً إياها نظرة ضاحكة طويلة مما كوّن لديها إحساساً قوياً بأن تكسر أسنانه الأمامية ، فلا بد وأن ذاكرته ضعيفة حتى يتذكر ماذا كان بينهما الأمس . فهو يتصرّف بالتأكيد وكأن شيئاً لم يحدث .

" ليس هذا ما أقصده " بدأت غاضبة فقاطعها والتفت للداخل ، سائراً

" ستتجمدين من البرد بالخارج " قال ناظراً من وراء كتفيه ولازالت يده فى جيوبه . اغلقى الباب من ورائك . هل يسمون هذا ربيعاً ؟ " .

كان ذاهبًا إلى غرفة المعيشة بالدور الأرضى فوضعت دراجتها أرضاً وهبت غاضبة داخل المنزل وهى تغلق الباب بقوة من ورائها وتتمنى لو أنها قد كسرت بعض الزجاج من جراء هذا .

اختفى داخل الغرفة ، دخلت بعنف من ورائه ، تلهث قليلاً واحمرّت من الغضب لتجده يسكب لنفسه مشروباً .

" هل أسكب لك بعض الشراب ؟ " سألها مواجهاً إيّاها فنظرت إليه بغضب ." لا . لا أريد أى شراب " ردّت عليه وهى تسخر منه بعناية فائقة .

" هل أنت واثقة ؟ " سألها مواسياً " فأنت تبدين فى أمس الحاجة إلى شراب . كل هذا المجهود من قيادتك لتلك الدراجة . بالطبع سيئاً جداً لكِ وأخبرتك مراراً من قبل . يعلم الله وحده لماذا لم تشتر لنفسك سيارة " " بسبب عدم امتلاكى لأية نقود " قالت له وهى متضايقة ومضطربة " ثم إننى لم آت هنا للحديث عن وسيلة مواصلاتى . "

رشف بعضاً من شرابه بينما ينظر من فوق حافة الكأس .

" أتيت " قالت له " لأرد لك هذا " أمسكت له المفاتيح وهى ترفعها من سلسلتها وتحرّكها أمامه . فنظر إليها وقد اختفت من وجهه كل لهو وتسلية .

" أنتِ سخيفة ياكلير " قالها بينما سار حيث تقف على رجلين مرتعشتين وأخذ منها المفاتيح والتى ألقاها على إحدى المناضد الصغيرة " وأفترض هذا كنتيجة لما حدث بالأمس ؟ " " نعم " أجابته بحدة .

نظر إليها وعيناه داكنتان من الضيق " بالله عليك ، ألست طفولية بعض الشيء ؟ " سؤاله هذا جعلها غاضبة ومجنونة كطفلة وهى كذلك ببساطة لأنها قررت أن تتركه .

كان يجب عليها توقع ردة فعله تلك بعد انخماد غضبه عندما وجدت الصورة . لأنه لم يحدث لية امرأة وأن تخلت عن جيمس فورستر وتركته بإرادتها وليس بإرادته هو .

" نعم ، فأنا طفلة . كم أنت ماهر لترى ما بداخلى هكذا " وافقته .

ملاحظتها مثل التلويح بعلم أحمر أمام ثور . فبدا كما لو أنه يتمنى خنقها ، " لقد اعتقدت بأننا انتهينا من هذا كله . اعترف بأنى كنت غاضباً جداً عندما أريتينى صورة أوليفيا ولربما بالغت فى رد فعلى ، ولكن " هز كتفيه " كنتِ أتوقع بأنك ستكتشفين أمر زواجى إن عاجلاً أم آجلاً " انقبض فكه بينما كان يتكلم ويمكنها ملاحظة أن مجرد ذكر اسم زوجته يحرّك بداخله شيئاً ما . شيئاً لم تتمكن هى من تحريكه .

" وهل كنت ؟ " أجابته ببرود ، "هل كنت ستذكر ذلك لى ؟ " .

" من المحتمل لا " اعترف و هو يرشف باقى مشروبه ويتحرك فى جميع أنحاء الغرفة . " ولكن الآن بينما وضح كل

www.elromancia.com

شيء ، لا أرى أن ذلك سيؤثر على علاقتنا . " نظرت إليه بابتسامة مندهشة ، " لا أصدق بأنى أسمع هذا " قالت بتعجب " اكتشفت الأمر مصادفة بأنك قد سبق لك الزواج وأنت لا تجد أى مبرر ليكون لهذا أى أثر على علاقتنا ؟ " .

" هذا صحيح " .

" لقد كتمت السر عنى عن عمد . أشعر كما لوأنّى لم أعرفك أبداً من قبل ، كما لو أنى لم أشاركك عواطفك طوال التسعة شهور الماضية " .

" **أنت شديدة المأسوية** "

" توقف عن معاملتى كما لو أنى نصف بلهاء " صرخت فيه وهى تمشى من خلفه ويداها أمامها " **فأنا لست شديدة المأسوية** " .

توقف فجأة فتقريباً اصطدمت به .

" نعم ، اللعنة **فأنت شديدة المأسوية** . أنا لم أكتم السر عن عمد؛ كما تقولين ، أنا لم أر ضرورة فى إعطائك تقريرًا مفسرًا عن حياتى الماضية . ولكن " أضاف بغضب ؛ " بمنطقك الأنثوى التقليدى وجدت من المستحيل أن تتقبلى ذلك ، أليس كذلك ؟ بالطبع لن ترضى إلا بشرح مفسر لزواجى ، وبدون شك أردتِ تقريرًا مفسرًا عمّا قبل الزواج كذلك . "

" كنت أتمنى فيك ولو قليلاً من الأمانة " .

" كنت أعتقد بأننى أعطيتك هذا . كنت أميناً بقدر الكفاية عندما أخبرتك بأننى لا أريد أية التزامات وكنت أعتقد بأنك قبلت هذا . "

" لقد قبلت "

" إذن ما هى المشكلة ؟ " . اقترب حاجباه من بعضهما مما أضاف على وجهه مسحة من الغطرسة . فأدركت بأنه يحاول السيطرة على أعصابه .

" المشكلة هى أننى لا أريد أن أعيش فى ظل شخص آخر " .

" ماذا تقولين بالضبط ، يا كلير ؟ " سأل فى صوت ناعم كريه ، كانت عيناه قاسيتان بينما ينظر إليها . " لقد كنت تبحثين عن نوع من الالتزام معى بالرغم من أننى أخبرك عكس ذلك ؟ "

" أعتقد هذا " أجبرت أن تعترف بذلك ، بكره ، ولم تجرؤ على النظر فى عينيه . بدأت تشعر بالإرهاق وبجانب هذا كان الوقت قد تأخر يجب أن أذهب " . أخبرته بقلق " لا يوجد فائدة من جدالنا سوياً . على الأقل دعنا نفترق ونحن أصدقاء " تحركت وبدأت تسير فى اتجاه الباب .

"إلى أين أنت ذاهبة ؟ لم أنته معك بعد " .

لم تهتم بأن تلفتت إليه ولا يمكنها تحمل نظرة عينيه الغاضبتين أكثر من هذا . كل ما تريده الآن هو الانصراف بعيداً عنه . أحست بالأضراب أكثر عندما سمعته يسرع من ورائها .

" لا يمكنك قيادة دراجتك فى هذا الوقت المتأخر " .

" اذهب بعيداً عنى . يمكننى قيادة الدراجة فى أى وقت أريد " .

" انظرى إلىّ عندما أتحدّث إليك " دوى صوته مثل الرعد مما جعلها تقفز من مكانها ولكنها رفضت أن تشعره بالرضى ، فلن تنفذ ما يأمرها به .

لقد اعتادت على تنفيذ ما يرغبه لمدة طويلة . عكس كل إدراك سليم ، لقد كانت غبية لفترة طويلة عندما وقعت فى غرامه ، فقد استغل حبها ليشكلها كما يريد منها . عندما يشير إليها بإصبعه ، تقفز إلى السرير بجانبه .

سحبت الباب الأمامى لتفتحه ولكنه أغلقه بقوة قبل أن تخطو للخارج عندئذ نظرت إليه ملتفتة ، تسند ظهرها إلى الباب الضخم . " توقف عن إعطائى الأوامر " . قالت له مستغلة إحساسها الجديد بالثقة إلى أقصى حد . لم تره غاضباً كما هو الآن ، فهى لم تقف ضده من قبل .

" ماذا بحق الجحيم حدث لك ؟ " دوى صوته كالرعد ، " لم يسبق أبداً وكنت هكذا . كنت أعتقد بأنك لطيفة وبرينة وغير معقدة " .

" حسناً . لا يمكنك أن تكون على حق دائماً " . أجابته كلير بسرعة ، " وإذا استمريت على صراخك فستنزل مدبّرة منزلك على الفور لتعرف ماذا يحدث " .

هذا جعله أكثر غضباً " لا أهتم إذا أتى الإقليم بأكمله للتحقيق فى هذا " . أخبرها ولم يحاول أن يخفض من صوته .

" حسناً . أنا أهتم " . التفتت لتفتح الباب ، نصف متوقّعة أن يغلقه مرة ثانية بقوة ولكنه لم يفعل فخطت فى الخارج ، تحاول أن تحمى نفسها من الصقيع القارس فى الخارج ، كانت دراجتها مستندة بجانب الحائط ، وقبل أن تمد يديها لتمسكها لتعتليها ، خُطِفَت من بين أيديها وحملت إلى جانب القصر .

حملقت كلير فيه مندهشة ثم جرت من خلفه غاضبة ، " أعطنى دراجتى " صرخت فيه وكم كانت تتمنى أن تضرب قدميها بالأرض فى غضب ولكنها لم تفعل " إلى أين ستذهب ؟ " صرخت بلهجة آمرة وهى تجرى من خلفه فأجابها باقتضاب " إلى سيارتى فلن أسمح لك بقيادة دراجتك فى هذا الوقت المتأخر " .

سيارته . أين كانت ؟ سرعان ما رأتها فى الجراج مختفية عن الأنظار بالأشجار الكثيفة . عادة ما يضعها أمام الباب الأمامى ولهذا عندما لم تجدها كلير عند الباب الأمامى ظنت بأنه غير موجود .

وضع دراجتها فى حقيبة السيارة بينما تنظر إليه بعدم حيلة وغضب . وعندما فتح لها الباب لتركب قائلاً " اركبى " أرادت أن تجيبه : على جثتى . ولكنه دفعها على الكرسى الأمامى وأغلق الباب من ورائها .

" إلى أين ؟ "

" سأقيم فى منزل كارين " أعطته بعض الإرشادات للمنزل . مطّت شفتيها ونظرت من النافذة تشاهد ظلال الأشجار والحقول والمنازل تمضى من أمامها .

توقفت السيارة فجأة بجانب الطريق مما جعلها ترتجف رعبًا .

" ليس هذا هو الطريق " . قالت هذا فابتسم بسخرية .

" لقد أخبرتك بأننى لم أنته معك بعد " .

وجدت نفسها قد بدأت تعرق قليلا ، عصبية ، مضطربة بالرغم من أنها متأكدة بأنه لن يؤذيها على الأقل جسديًا .

" لقد تربيت معها " قال لها أخيرًا وهو يكسر الصمت الذى ساد بينهما مثل ستار كثيف . " على الأقل ، لقد كانت موجودة دائمًا من حولى على ما أتذكر ، فتاة جميلة تتحول إلى امرأة جميلة " .

حملقت فيه ، تتمنّى لو لم يكن داخل السيارة شديد الظلمة ؛ لأنها تمنت ولو أمكنها رؤية وجهه وهو يخبرها بكل هذا . فصوته لا يعبر عن شىء . فهو بعناية مسيطر على صوته وبدون تعبير .

" أوليفيا ؟ "

" لقد أردت أن تعرفى عنها كل شىء ، أليس كذلك ؟ ". سألها بسخرية ، " حسنًا ، سأقول لك ، لم ألحظها حقيقة حتى بلغت العشرين ، ليس جسديًا على أية حال ".

تألمت لذلك . تخيلته يقع فى غرام شقراء جميلة ، عيناه تكاد تلتهمانها مثل نظرته إليها ، يخبرها بأنه يرغبها ، بخليط من الفتنة والسحر مما يجعلها فريسة سهلة . فلديه طريقة لتوصيل رسالة بدون أن يتحدث . وكيف يمكن لأى امرأة مقاومته ؟ .

" ثم ماذا حدث ؟ " سألته بصوت غريب . وشعرت وكأنها متلصصة ، ولكنها فى أشد الحاجة لتعرف كل شىء .

" المتوقّع . تزوجنا بعد هذا بوقت قصير . فى النهاية ، كل هذا كان يبدو فى دوّامة الرومانسية على الرغم من أننى كنت أعرفها لسنوات طويلة " .

" هذه الصورة كانت فى يوم زفافكما ؟ " .

بلعت كلير ريقها بألم . ذكريات من الماضى وأحلام للمستقبل هما المادة التى تصنع منها الحياة . لديه ذكريات الماضى ولكن أحلام المستقبل ماتت يوم وفاة زوجته . لايوجد لها مكان فى حياته .

" ألهذا السبب لم تتزوج مرة ثانية بسبب زوجتك ؟ " سألته .

" من الممكن أن يكون هذا هو السبب " هز كتفيه العريضتين .

" كيف .. "

" قُتِلت ؟ " خرجت الكلمة بدون تعبير وكريهة بعض الشىء مثل قسم فى الكنيسة . " كانت تقود سيارتها عائدة فى الليل إلى المنزل ،

فى ليلة ممطرة جدًا . كان الوقت متأخرٌ ، شديد الظلمة ففقدت السيطرة على السيارة فى إحدى الانحناءات الملتوية . لقد اعتادت القيادة كما لو كانت فى سباق مع نفسها . " أطلق ضحكة بدون مزح ، " أخبرونى بأنها توفيت فى الحال ".

" أنا شديدة الأسف " تمتمت كلير .

" وراضية عن نفسك " ، أتمنى هذا ؟ " " الآن وبعد أن شرحت لك كل شيء . ألا يمكننا الآن إنهاء هذا الشأن تمامًا ؟ " بدأ فى إشعال المحرّك ليعود إلى الطريق الآن . فى ذهنه ، هى تعرف هذا ، بأنه تم حل المشكلة . تعرف عن أوليفيا . وتعرف أسبابه الحقيقية فى عدم الرغبة لأى ارتباط . ولهذا لم يعد أى مشكلة . وستتقبل شروطه مرة أخرى ويعود الحال على ما كان عليه .

كان يقود السيارة عائدًا إلى القصر ، فأخبرته بحدة :

" اتجاه خطأ . أخبرتك بأنى ذاهبة للإقامة بمنزل كارين . وسأظل هناك حتى أجد مسكنًا خاصًا بى " .

شعرتْ بأمان تام وهى تخبره بهذا بينما هو يقود السيارة . نظر إليها باقتضاب حاد كما لو أنه لا يصدق أذنه .

" توقّفى عن كونك غبية " .

" لقد فعلت " أجابته " منذ اللحظة التى قررت فيها إنهاء تلك العلاقة " .

لم يهدئ السيارة . بل استمر كما هو فى اتجاه القصر . استمر وجهه بدون تعبير مما جعلها تعتقد بأنه أخيرًا تقبل قراراتها فأخذت تحدثه ؛ " سأجمع أشيائى من الكوخ فى الغد . خططت لأطلب من كارين مساعدتى هذا المساء ولكننى لم أتمكن من الانتهاء إلا فى وقت متأخر واعتقدت بأننى لطالما لن أستخدمه من الليلة فيمكننى إعطاء مسز إيفنز المفاتيح . كان يجب الإحتفاظ بها ، على ما أعتقد ، حتى أحضر لأخذ محتوياتى . وكما هو هكذا ، فيجب على أن أحضر غدًا بعد العمل لأحضر المفاتيح من مسز إيفنز ثم أردها إليها بعد الانتهاء . يالى من غبية " .

" لقد كنت محقًا بخصوصك . أليس كذلك ؟ " . سألها متجاهلاً كل ثرثرتها فنظرت إليه مندهشة .

" ماذا تقصد ؟ "

" تريدين الزواج – دائمًا كنت ترغبين بالزّواج " .

" وما الخطأ فى هذا ؟ " انفجرت مدافعة فلم تحاول الإنكار ، " نعم ، أرغب فى الزواج ، وإنجاب أطفال ، وكل ما يتعلق بالزواج . كنت أظن بأنه تمكننى الإقامة معك ، بدون أن تسأل أى سؤال ولكن لم أستطع ، وعلى الأخص عندما اكتشفت أمر أوليفيا " .

" لا " . قال بصوت أملس بارد "و بخاصة ليس الآن " . كانوا يقتربون من منزل كارين . هدأ من السرعة ثم توقّف بالخارج ثم واجهها ووجهه بارد ومشمئز .

" ماذا كنت تعنى ؟ "

" لطالما كنت أتعجب ماذا تفعل فتاة بمؤهلاتك وهى تعمل كعاملة نظافة ، ولكنك كنت مقنعة ، أليس كذلك بكل حديثك المتملّق عن حبك للأشياء الجميلة ، وحبك لتكونى محاطة بها من حولك . نظرت إلى وجهك المنعش البرىء الخجول وبدأت حقيقة فى سؤال نفسى بأننى لربما كنت شديد التشكك من قبل . على أية حال ، صفة الشك موجودة فى عقول الرجال الأغنياء والتى يجبر على حملها على كتفيه حتى تصبح عادة ترشد كل شىء يفعلونه ، كل رد يجيبون به ، ولكنك كنت ماهرة ، أليس كذلك ؟ " .

" لست شديدة التبهرج ، لاترتدين الملابس الغالية ، وكنت ترفضين بالرفض فى كل مرة أعطيك فيها هدية " .

شعرت بجسدها يتحول إلى حجر . لقد فهمت ما يقول ولكنّها لم تستطع قول أى شىء ، ببساطة لسانها لم يستطع الرد .

" ألقيت بنفسك على فأخبرتُ نفسى لا ، لا ، لايوجد امرأة لعوب واسعة الحيلة تكون بهذا الوضوح . لو كنت محبة للذهب ، لكنت تمنعتِ عنى وتمنيتِ أن تؤثر سذاجتك فىّ فتثيرنى " .

" أنت مخطئ ، " أنكرت وهى مفزوعة " كيف يمكنك التفكير فى تلك الأشياء ؟ " .

" تعرفين بأنىّ لم أكن أبحث عن الزواج ولكنّك تمنيت أن تتمكنى من إقناعى بأنى كنت مخطئًا ، أليس كذلك ؟ ولكنك وجدت الصورة والآن تعرفين كل القصة كاملة ، وجدت الصورة والآن ترين بأننى شديد التمسك بعدم الزواج ولذلك قررت الاكتفاء بتلك الخسائر لتفرين سريعًا " .

التفتت تحاول فتح الباب إلا أنه جذبها لتلتفت إليه " الحقيقة تجرح ، أليس كذلك يا كلير ؟ " .

قالها بسخرية جارحة " لعبت لعبتك وخسرت " .

نظرت إلى هذا الوجه القاسى الوسيم ، عيناه تلمعان فى ظلام السيّارة ولم تجد شيئًا لتقوله . " حتى وجدت تلك الصورة . كنت دافئة ومطيعة . تغيرت فى ليلة وضحاها . يا لها من صدفة تقطع الأنفاس " .

" أنت لم تفهم " ولكنه تجاهلها . وتعجبت إذا كان قد سمع اعتراضاتها على الإطلاق .

" هل تشعرين بالبهجة وأنت تجعلين منى أضْحُوكة ؟ لم تفعل أية امرأة بى هذا من قبل . هل يثيرك هذا التفكير ؟ " كانت أصابعه

تمسك ذراعيها بشدة وحاولت منع نفسها من الصراخ ألمًا . " دعينا نرى عدم مبالاتك بى ، هل نفعل ؟ دعينى أرى الحقيقة والخداع فى ردود أفعالك . "

جذبها نحوه يقبّلها بقوة جعلت رأسها ترجع للخلف . بيد أمسك رقبتها وبالأخرى رأسها حتى لا تحاول الهرب منه . أغمضت عينيها وتأوهت مستجيبة له . سيطر على أحاسيسها حتى رفعت يديها وطوقت عنقه وبادلته القبلات . فلم تعد تذكر السبب الذى من أجله تركته . يعرف جيدًا ويعرف كيف يؤثر فيها ولهذا استخدم تلك المعرفة جيدًا يلاطفها بعنف حتى يغيب الإدراك عن ذهنها تمامًا .

كان الشارع شديد الظلمة وفى تلك الساعة من الزمن لا يوجد مخلوق بالخارج . سيارتهم كانت إحدى السيارات المختفية بين سيارتين فلم يلحظها أحد وعلى أية حال كان يبدو على جيمس عدم الاهتمام .

لم تعد تهتم بما سيحدث غدًا فهى الآن ملكًا لجيمس يفعل مايريده بها .

عندما أخذ جيمس يبعد عنها ، فتحت عينيها وهى مندهشة " لقد كسبت نقطة " قالها بنعومة " من الممتع معرفة أن تلك المنطقة لا يمكنك خداعى بها " .

" أيها الوغد " . قالت له . بينما جلس للخلف ، وجهه فى الظلام ، والتوت شفتاه من الرضى . جاهدت حتى تخلصت من فكرة صفعه . " نعم ، أنت وغد " قالت وهى تضع يديها وأصابعها مرتعشة على صدرها " لقد أثبتّ ما تريد . الآن هل ستنام سعيدًا الليلة ؟ " .

فتحت باب السيارة بعنف وخطفت حقيبتها من الأرضية وبينما دخلت شقة كارين بالمفتاح الإضافى التى أعطته لها ، لم تنظر خلفها .

* * *

www.elromancia.com

الفصل الخامس

بعد مضى يومين ، اتصلت جاكى بكلير . فى المكتب ، على الرغم من أنها أبلغتها بعدم السماح بالمكالمات الشخصية بالمكتب إلا أنها لم تعر الأمر اهتمامًا .

" كيف حالك ؟ " .

سمعت صوت أختها الأمر . علمتها الخبرة بأن تلاحظ التعبيرات المختلفة بصوتها ولاحظت معنى خفى فى لهجتها فى التحية ؛ ولهذا قطبت حاجبيها وقالت بدون مقدمات :

" لاأستطيع الحديث معك ، جاك ، تونى يحوم من حولنا يستعد للهجوم " .

" يجب على أن أقابل تونى " . أجابتها بنعومة " يبدو أنه يمضى وقته ، بناء على ما تقولين ، يحوم من حولكم ومستعد للانقضاض . أليس لديه أى عمل يقوم به ؟ " . " إنه يفكر وهو واقف " . تمتمت كلير بغموض وهى مقتنعة كل لحظة بأنه يوجد شىء فى لهجة أختها .

" ذلك أمام مكتبك ، هذا ما أفهمه . هل أنت متأكدة بأنه غير مهتم بك ؟ . أنا أعرف كيف تكونين ساذجة بدرجة مذهلة بدون أن تلاحظين " .

" لاتكونى سخيفة ". دافعت كلير عن نفسها . وضحكت مكرهة على هذا التلميح الضمنى . " تونى منجذب إلى نفسه أكثر مما هو منجذب إلىّ ".

سادت فترة صمت بينما انتظرت كلير بصبر ماذا ستقول جاكى . لاتحتاج إلى تعاطف . كل ماتريده هو أن تنسى بأن جيمس لا زال موجودًا . لو أنها أصيبت بفقدان للذاكرة مؤقت ستتمسك به لأن التفكير المستمر بجيمس يقودها إلى الجنون .

" كيف حالك حقيقة يا كلير ؟ " . سألتها جاكى ، " بخير " .

" ولكن لا يبدو هذا فى صوتك " .

" جاكى " بدأت بنفاد صبر " بصراحة لا يمكننى الحديث معك لفترة أطول من هذا . فلدى أكوام من العمل يجب على إنجازها " .

" ماتقصدينه بالفعل هو أنك لاتريدين الحديث عنه " .

يمكننى فهم هذا . يكفى هذا لربما كنت سأصبح مثلك تمامًا . لم لم يُرد أن تضيف لها ذلك ، مما جعل كلير تبتسم ، " ليس معنى هذا أننى كنت سأسمح لنفسى فى التورُّط بعلاقة مع رجل يضعنى على رأس قائمة أولوياته . لن يستغلنى توم أبدًا كمجرد شريك عواطف . لن يجرؤ " .

توم هو زوجها رجل ظريف جدًا وتعجّبت كلير ماذا سيقول عندما يسمع كلام زوجته كأنّه دجاجة .

إنه ليس ضعيفًا على الإطلاق فهو يستطيع السيطرة على جاكى بسهولة . يعطيها مطلق الحرية لتفعل ماتريد طالما يناسبه هذا . بطريقته المحببة لايسمح لها أن تشرد بعيدًا .

" يمكنك أن تكونى مسيطرة " تمتمت بعدم تركيز بينما تقوم بالتصميم الذى بيدها . هذا التصميم بحاجة إلى بعض اللمسات لتنهيه ولهذا بدأت فى إضافتها . " على أية حال " قالت جاكى فى لهجة عملية " لن أؤخرك أكثر من هذا . لربما رئيسك المتوحّش فى طريقه إليك ليضربك فوق رأسك لقضائك أربعة ساعات ونصف فى مكالمة تليفونية بينما يجب عليك العمل " .

ابتسمت كلير لهذا . لطالما اعتقدت جاكى بأن عمل كلير هو رسم نقطة مثل طفل يلهو بألوانه فى الحضانة . لاتعرف كم يأخذ هذا النوع من العمل الكثير من المجهود لإتقان الحروف أو لإعادة العمل عندما يلقى به تونى قائلا " اجعليه أكثر تمدُّنا " أو " قللى من الألوان . نريد لونًا هادئًا وليس صاخباً " . لدى جاكى عمل غير متطلّب فى أوقات فراغها فى متحف . يناسبها تمامًا لتكسب بعض المال ، بالرّغم من أن دخل زوجها جيد جدًا وكذلك تنتهز الفرصة

www.elromancia.com

لتأخذ بعض الوقت راحة من ابنها شديد الشقاوة ، فريدى ، ذو الأربعة أعوام والذى يهلكها فى وقت قياسى .

" أردت فقط التأكد من أنك بخير ولاتفكرين فى ارتكاب شىء أحمق " .

" نعم ، أنا بخير " ترسم بغضب لقول جاكى .

" حسنًا . أوه شيئًا آخر . سنقيم حفلة صغيرة السبت القادم وأعتقد أن حضورك فيها فكرة رائعة ".

" لا ياجاكى ، بصراحة ، أنت تعرفين .. " .

" لا يوجد أكثر من عشرين فردًا وعددًا ضئيلاً من الرّجال المحترمين . لم لاتحضرين ؟ وتنسى ما حدث وتتوقفى عن شعورك بالشفقة على نفسك ".

" أنا لا أحس بالشفقة على نفسى . فى الواقع أنا لدىّ بعض الأصدقاء الرائعين هنا . وسأذهب إلى ... " .

استمرت جاكى وكأنها لا تسمعها " تعالى فى تمام الثامنة والنصف . وسأقول لك بالمحطة كالمعتاد . متى ستحصلين على سيارة ؟ لم لا تحضرين فى الصباح لنقوم ببعض التسوُّق . اشترى بعض الملابس الجميلة بدلا من ملابسك المعتادة من الجينز والبلوفرات " .

" لا . أنا .. " .

" وهو كذلك . سأراك فى المساء ، إذن الحقى بالقطار الساعة السادسة والنصف حتى تساعدينى فى الأشياء الأخرى . أرجوك ارتدى شيئًا مذهلاً " فتحت كلير فمها لتتكلم ولكن جاكى أغلقت الخط . عرفت بأن هذا هو الهدف من تلك المكالمة . تريد جاكى إنقاذها من حياة التعاسة والملل بطريقتها المسيطرة المنظمة . فى نهاية الأسبوع ستتصل بأختها حتى تخبرها بعدم قدرتها على حضور الحفلة . تدريجيًا نسيت أمر الدعوة وحاولت التركيز فى عملها اليوم . فهذا الوقت من السنة به الكثير من العمل وتونى يتجوّل فى المكتب مثل الدجاجة المجنونة ، يشد شعره عندما يجد شيئًا لايعجبه ولهذا لا يوجد لديها الوقت لتنظر بعيدًا عن عملها ، وهذا شىء حسن لطالما يأخذ ذهنها عن التفكير بجيمس . لقد تطوعوا للعمل وقتًا إضافيًا بدون اعتراض وعندما وقفت كلير ، لتغادر المكتب كانت الساعة قد أصبحت الثامنة والظلام يسود بالخارج ألقاها تونى بنظرة تعنى بأن الثامنة مساءًا ليس وقتًا متأخرًا على الإطلاق باعتبار بأن الآخرين سيبقون لساعة أخرى لتكملة العمل . قابلت كلير نظرته بابتسامة مؤدبة ولكن حازمة .

لن يجرؤ على أن يطلب منها أن تبقى لساعة أخرى فالآنسة كلير هاربر . اللطيفة الوديعة لم يعد لها وجود .

وسيكتشف قريبًا كل هذا بنفسه إذا جعلها غاضبة .

لابد وأنه قرأ تعبير وجهها صحيحًا ؛ لأنه لم يقم بأية محاولة لإيقافها - شعرت بشعور من الانتصار عندما غادرت المكتب .

كانت الليلة قارصة البرودة فشدّت الجاكت إليها لشعورها بالبرودة . فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، هذا المكان خطر التنقل فيه . المكاتب أصبحت مهجورة بعد انتهاء العمل بها ويملأ الشوارع أنواع مختلفة من الناس . الشباب الذين يطيلون من شعورهم ويرتدون الملابس الغريبة . قفزت لتركب دراجتها إلا أنها سمعت دوى نفير سيارة من الخلف .

بالطبع ليس لديها النية لتنظر خلفها . فقادت دراجتها وفى خلال دقائق شعرت بوجود سيارة من خلفها تتبعها فقادت دراجتها بسرعة إلى الأماكن المضيئة .

الآن هى غاضبة أكثر مما هى خائفة . توقفت وقفزت عن دراجتها والتفتت لتواجه بجيمس أمامها . وهو يخرج من سيارته ويقف بجانبها على الرصيف يراقبها .

" ماذا " صرخت فيه بحنق " تعتقد بأنك فاعل بحق الجحيم ؟ ".

لقد مرت بضعة ساعات منذ أن رأته آخر مرة إن يبدو أكثر طولاً وأكثر قوة ولكنها لم تستطع تحديد تعبير وجهه فالجو

مظلم . ولكنها يمكنها تحديد خطوط وجهه العنيفة والتى أرسلت رعشة فى أوصالها . وهذا رد فعل أخفته بمجرد ظهوره . كل عصب بجسدها يبدو كأنه يناشده ولكنها لا زالت تجبر نفسها لتظهر بمظهر البرود والأدب .

ليس لديها النية أن تنسى لعبته التى مارسها على حسابها بالأمس . أدار المحرك وراقب تصرفها ثم رجع للخلف وضحك نصف ضحكة وكل هذا ليكسب نقطة ما .

" ألم تسمعى صوت النفير ؟ " . سألها وهو يميل على الباب المفتوح ويتفحصها .

" سمعت شخصًا ما يطلق النفير " . أجابته كلير ، " افترضت أنه لو كان شخصًا أعرفه ،فإنه سينادى علىّ ولكن لماذا تفعل ذلك ؟ فأنت تتعالى عن فعل هذا . " رجعت لدراجتها وقالت له بعدم اهتمام " أنا متعجبة بأنك لم تصفر متوقعًا أن أحضر جريًا لأحييك " .

لم يجبها ، سمعت صوت غلق باب السيارة بالقوة ثم صوت الفرامل وهو يغلق عليها الطريق بالسيّارة مما أجبرها على النزول .

" أبعد يديك عنّى " قالتها عندما أدخلها إلى كرسى المسافرين بجانبه . صراخها جذب بعض الناظرين وهذا لم يضايقه البتة .

على الرغم من أن هذا ضايقها . ولهذا أخفضت من صوتها ونظرت إليه بغضب شديد .

" لا يمكنك فعل هذا بتفاخر وأنت تضعنى داخل سيارتك " .

" سأضع هذا الشيء الذى تسمينه دراجة داخل حقيبة السيارة " . قال هذا وأغلق الباب من ورائها . جلست وهى تغلى من الغضب منتظرة وبمجرد دخوله للسيارة التفتت إليه تلقى بحمم غضبها " أنت شديدة القسوه " . نطقتها بلهجة غاضبة ملتفتة لتنظر إليه ، وكان المحرك لا زال يدور . وصوت السيارات الأخرى من الخلف ولكن لايبدو عليه بأنه ينوى التحرك . حتى يديه لم تكن على عجلة القيادة بل خلف رأسه بينما استند إلى الباب وأخذ يتطلّع إليها وكأنه يقول لها إذا أردت الصراخ ، افعلى ما تريدين وتخلصى من هذا العبء .

وهذا جعلها شديدة الغضب غير قادرة على الكلام .

" يمكننى الإبلاغ بأنك تحاول اختطافى " قالتها بوحشية " .

" لاتكونى سخيفة " .

" حسنًا .. أنا لست جالسة هنا برغبتى . على أية حال ، ماذا تفعل هنا ؟ " .

" لطالما تساءلت كيف يبدو مكتبك " . نظرت إليه كأنها تقول له هل تعتبرنى ساذجة .

" هذا غريب بالنسبة لى " قالت له ببرود " لم تخبرنى عن هذا التشوق عن مكانُ مكتبى . لربما يكون هذا بعيد عن تفكيرك ؟ على أية حال ، فما نحن سوى شركاء فى الحب . فلماذا إذن تهتم بحياتى اللعينة خارج حدود الفراش ؟ " .

" أنت تبالغين " . قالها بدون ابتسامة " أعرف نوعية عملك " .

" أوه . نعم " قالتها بسخرية " نسيت . أنت تعرف بالطبع ، لقد أمضيت وقتًا طويل أخبرك بحماسة عن عملى . يالها من متعة وتسلية لك . لم تخبرنى ماذا تفعل هنا حتى الآن " .

" متى تنوين الحضور إلى الكوخ لتجمعى أشياءك " هذا جرحها قوله هذا . يريدها أن تخرج من حياته ، ولكن لماذا يجب عليه أن يكون بهذه القسوة ؟ .

" فى أسرع وقت ممكن " . قالتها بتخشُّب " كنت سأقوم بتجميعها اليوم بعد العمل إلا أن تونى طلب منى البقاء وقتًا إضافيًا ؟ " .

" أوه . تونى سألك أن تفعلى هذا . سألها بلهجة جعلت وجهها يحمُر خجلاً " . وماذا أيضًا يسألك تونى أن تفعليه ، مجرد سؤال ؟ " .

" لديك عقل ذو تفكير ملتو " .

" هكذا توصفين عقلى ؟ يمكننى وصفه بأنه ذو خبرة " . كان يراقبها بدقة . نظر بعيدًا من خارج النافذة لبرهة من الوقت ثم بدون كلام أشعل موتور السيارة وسحبها من الموقف .

كان يعرف الطريق إلى شقّة كارين بدون الحاجة إلى تذكيره بها . جلست كلير فى صمت غير مريح ، تكره كونها قريبة منه بهذا الحد . إلا أنها مستمتعة بوجوده فى نفس المكان . هذا غير عادل ، لقد بدأت تسيطر على الموقف . ها هو ذا يحضر ويطاردها من جديد .

" لقد اعتدت العمل ساعات إضافية عندما كنا على علاقة سويًا " . " كل هذا بناءً على طلب تونى ؟ " .

سألها بكسل وهو يلقيها بنظرة جانبية .

" لا " قالتها بحدة ، عندما توقف بالسيارة وأوقف المحرّك " كثيرًا ما تطوّعت للقيام بالعمل " .

لم يتغير وجهه كثيرًا ولكن تعبيره أصبح قاسيًا قليلاً " يقولون بأن الرؤساء بالعمل لديهم جاذبية كبيرة لبعض الناس بسبب مراكزهم " أخذ يحرك المفاتيح بين أصابعه " مثلما يحدث عندما يكون للدكتور صف من الممرضات المعجبات به فى مكان ما فى الخلفية . لم أعر الأمر أى اهتمام البتة عندما اعتدت الحديث معى عن تونى ولكن أتذكر أنك كنت تكررين اسمه كثيرًا " .

" أنا أعمل لديه . بالطبع اسمه سيتكرر كثيرًا " عيناه الخضراوان لمعت ببريق خاطف وهو يتطلع فيها بنظرة مفكرة . " بالطبع ، الآن ، على الرغم من ذلك ، إنى أتساءل إنه كان يجب أن أكون قليل لشك فيك " .

" أنتِ على حق " . قالتها بتنهيدة ، " كان يجب عليك أن تشك فى . فلقد كنا منغمسين فى علاقة رهيبة لعدة أشهر . فى الواقع ، يستطيع مقاومة أحدنا الآخر " .

ظهر شىء خطير فى عينيه ولكنه نظر إلى أسفل وكان من الواضح أنه وجدها مسلية .

" متى تريدنى أن أترك الكوخ ؟ " . سألته " فأنا مرهقة وليست لدى النية لتمضية البقية من الليل جالسة فى هذه السيارة نتسلّى سويًا . " لقد تغيرت حقًا ، أليس كذلك يا كلير ؟ " سألها بصوت مندهش .

" قولك يبدو وكأنه إهانة " . قالتها وهى تنظر بعيدًا تكره تحذير أحاسيسها بهذه الطريقة .

" لقد تركت وراءك نظرة الثقة " .

هزّت كتفيها " ألا نفعل كلنا هذا ، عند نقطة معينة ؟ " . قابلت عينيه بثبات " لربما اكتسبت هذا منك ، صفة صغيرة منك التصقت بى . ليس معنى هذا أننى يمكن تصوُّرك من النوع الذى يثق بالناس . هل أنت كذلك ؟ هل حُولك موت زوجتك إلى الشخص الموجود الآن أم أنك كنت دائمًا تشك فى الآخرين وتهتهم ؟ " .

انقبض فمه وأمكنها رؤية الظلال الغاضبة على وجهه من أين جاءت لها تلك الشجاعة ؟ تساءلت . لقد كان على حق عندما قال

بأنها تغيرت بين ليلة وضحاها فلم تعد الفتاة الساذجة البريئة ، والتى ألقت بنفسها بين ذراعيه وكانت على استعداد لإبعاده بأى طريقة ممكنة . فلا عجب أن يندهش هكذا من تغيرها هذا .

" جعلتنى الخبرة الرجل الذى ترينه الآن " . قالها ومد يده بسرعة خاطفة ، قبل أن تتمكن من الابتعاد ، ليمسك بذقنها وأجبرها على النظر إليه . " لم تكونى غير سعيدة أبدًا معى " كانت عيناه على فمها وأمكنها رؤية الرغبة بعينيه . ماذا يحاول أن يثبت بذلك ؟

" متى " قالتها بصوت هادئ على الرغم من أن قلبها يسرع بجنون " تريدنى أن أخرج من عندك ؟ " .

" لا أريدك أن تفعلى هذا . إحدى معارف العمل من أمريكا ستحضر للبقاء هنا عدة أسابيع ، ولكن يمكننى عمل تعديلات أخرى لو أردت البقاء . إننا نبالغ فى ذلك فدعينا ننهى الخلاف هنا الآن ؛ فأنا أريدك ومن المؤكد أنك تبادلينى نفس الإحساس . إذا لماذا نلقى بما بيننا للريح بسبب بعض الإحساس الخاطئ بالفضيلة ؟ " .

كان صوته أجش ملىء بكل الجاذبية المخدرة لأحاسيسها .

" هل تقصد بأنك لا زلت ستعاشرنى على الرغم من أنك تظن أننى امرأة جشعة وأطمع فى نقودك ؟ " .

سألته باستغراب .

" نعم " أجابها بصراحة " سأفعل " .

" هذا إطراء لى " صرّحت بلهجة وابتسامة باردة .وجهه يبعد عن وجهها ببضعة بوصات ويجب عليها أن تصمد أمامه من التخيلات التى تتراقص فى ذهنها تخيلات لهما وهما ، يتكلمان ، يضحكان ، يتناولان وجباتهما فى أماكن مختلفة . هل استمتع بأى تلك الأشياء معى أم كان يتظاهر ليكمل لعبته من الإغراء ؟ . لقد كان تمكن من إخفاء أمر زوجته عنها ، فماذا يمكن أن يكون قد أخفى أيضًا ؟ .

" لن أحلم بوضعك فى موقف كهذا يؤنّب ضميرك على الرغم من هذا " . أضافت مهدئة ، " لربما من الأفضل لك أن تبدأ فى البحث عن امرأة أخرى تشاركك عواطفك سأحضر لآخذ أشيائى من الكوخ غدًا ، والآن .. " رجعت للخلف لتفتح الباب " إذا سمحت لى ؟ " التفتت إليه قائلة " شيئًا آخر أرجوك لا تقترب منّى مرة أخرى " .

" لماذا ؟ " أربكها بنعومة " خائفة من أن تضعفى لى ؟ " امتدت يده وسحبها من شعرها " لا تظنى بأنك يمكنك البعد عنى بسهولة يا كلير . ما بيننا لم ينته بعد " .

" هذا رأيك " .

" لا . هذه حقيقة " .

هددتها عيناه الخضراوان فرجعت وخرجت من السيارة مسرعة مفضلة عدم النقاش معه أكثر من هذا . وبمجرد خروجها أسرع فى قيادة سيارته مما جعلها تظن بأنها تخيلت وجوده من البداية .

دخلت المنزل بهدوء وكان غارقًا فى الظلام فظنّت بأن صديقتها لربما نامت مبكرة ولكن شرفتها كانت مفتوحة لهذا عرفت بأنها خرجت .

استرخت فى الحمام أثناء استحمامها وأخذت تفكر فيما حدث بينها وبين جيمس هذا المساء . فلم تر مبررًا لأن يأتى لمكان عملها ليخبرها متى ستخلى الكوخ .

كان يمكن له أن يتّصل بها بالتليفون وبهذه الطريقة ليس مضطرًا من رؤيتها مرة أخرى ولكنها أدركت الآن أن هذا غير مناسب على الإطلاق . فهو يدعوه عملاً غير مكتمل بالنسبة لعلاقتهما ، . لربما لا يرغب فى أية التزامات معها وهذا ليس معناه عدم وجودها فى حياته . لايريد أن تسيطر عليه امرأة . يريد أن يكون هو الشخص الذى ينهى العلاقة وليس هى .

خرجت من الحمام وهى تلف نفسها بشرشف . أخذت تلك الأفكار تدور برأسها حتى أحسّت بدوخة هل سيستمر فى مطاردتها والظهور فى حياتها عندما يحلو له ! بالتأكيد ستصاب بانهيار

عصبى بسبب هذا لقد أمضت وقتا طويلا منحنية الرأس ، متقبلة لشروطه . يعرف جيدًا مدى حبها له ، على الرغم من فكرته من أنها جشعة لا بد وأنه يعتقد بأنها عاجزة عن مقاومة الإغراء .

وعندما يحلو له التخلّى عنها سيفعل هذا بدون حتى ولو إلقاء نظرة عليها ولن تتأثر عواطفه . حسنًا ، لن تعطيه تلك الفرصة ، لو حضر إلى المنزل ستجعل كارن تبلغه بأنها غير موجودة ولو حضر إلى المكتب ، حسنًا ستكون بخير .

فى اليوم التالى تركت عملها فى الوقت المعتاد على الرغم من انقباض أسارير " تونى " ووصلت فى وقت مناسب للكوخ . حجزت تاكسى ليأتى إليها ويحمل أشيائها القليلة فى تمام السادسة والنصف . وهذا سيعطيها وقتًا كافٍ لتتأكد من عدم وجود أى شىء تركته فى الكوخ .

إنها لصدمة للرجوع إلى الكوخ مرة أخرى مع أنها لم تتركه سوى أيام قلائل . بحثت فى جميع أنحاء الكوخ بطريقة عملية حتى لا تدع الفرصة لعواطفها أن ترجع بقوة عندما كانت تظن بأن حبها له قوى جدًا سيمكنها من التغلب على أى شىء .

كانت على وشك الانتهاء عندما سمعت صوت المفتاح فى الباب فتجمدت مكانها فلا يوجد سوى شخص واحد يمكن أن يكون هو .

إلا إنها رأت امرأة جميلة أمامها طويلة ، ذات شعر أشقر كثيف مضموم للخلف يحيط بوجهها بعض الخصلات الناعمة مما يعطيها مظهر امرأة ذات جاذبية على الرغم من أنها تحاول أن تظهر عكس هذا فى مجال العمل .

لم تعرف كلير من منهما أشد دهشة من الأخرى .

حملقت كلٌ منهما فى الأخرى لمدة ثوانٍ قليلة ثم استعادت المرأة الشقراء إدراكها وقالت بلهجة أمريكية بأنها حضرت لترى الكوخ .

" أرسلنى جيمس " قالت وهى تتلفت من حولها " لقد حضرت من لندن مباشرة " وأخذت تنظر حولها بنظرة فاحصة مثل مشترى وليس مستأجرة . " بالتأكيد لقد طرت إلى هنا حتى يمكننى رؤية كل شئ فى الضوء . على فكرة ، اسمى جايل كنج ولابد وأنك .. " نظرت إلى كلير للمرة الأولى ابتسمت ابتسامة مؤدبة على الرغم من أن عينيها داكنتين وفاحصتين وغير وديه " ماذا كان الاسم ؟ . آه نعم ، هاربر ، أليس كذلك ؟ لقد أخبرنى جيمس بأننى لربما أجدك هنا تجمعين أشياءك " .

نظرت حولها فوجدت حقائبها وصناديقها بجانب الباب الأمامى . " ترتحلين خفيفة ، أليس كذلك " قالتها وكأن ذلك شيئاً شاذاً " أنا تقريباً أشحن أشياء كثيرة مثل الملابس ، الأحذية ، كل ما

تتخيلين لقد حضرت من أمريكا بصندوق كبير مملوء بالبدل فقط " . بدأت تتجه ناحية الدور العلوى فوجدت كلير نفسها تتبعها .

لطالما تساءلت عن النوعية التى تصاحب جيمس . كل رجل له نوع معين ، وهى تعرف بأنها لم تكن من نوعه ؛ لأنه اعتاد إخبارها مرة بسخرية وأحياناً بضحكة مضطربة بأنها ليست مثل ما اعتاد مصاحبتهن .

هل كانت جايل كنج صديقته ؟ ذات الشعر الأشقر و السيقان الطويلة والمحادثة الخفيفة ؟ .

" كم المدة التى تنوين قضاءها هنا ؟ " . سألتها كلير ، فأجابتها بدون أن تلتفت إليها وتنظر إلى غرفة النوم والحوائط .

" عدة أسابيع ولذلك فهذا مكان إقامة مؤقت . عادة لا أقيم بعيداً عن لندن ولكن معظم أعمالى تشمل شركات فى وادى التامس وبالطبع .." نظرت إلى كلير بابتسامة ماكرة " يمكن لجيمس أن يكون شديد الإقناع ولهذا السبب أنا هنا مع أنى أفضل مكان ذات خدمات ذاتية " .

"حسناً . منذ متى وأنت تعرفين جيمس ؟ " سألتها كلير بصوت متردد .

" منذ سنوات ، تقابلنا حقيقة عندما كنت أعمل لشركة سمسرة فى نيويورك . ثم ضمنى إلى شركته لأصبح المستشارة المالية فى إحدى فروعه فى شيكاغو - " أطلقت ضحكة دافئة مما جعل كلير

ترتجف "ورضيت تمامًا ، أتمنى ألا أكون سببًا فى إخراجك من هذا المكان ؟ " .

هزّت كلير رأسها بالنفى . سنوات . يعرفها منذ سنوات أدارت لها ظهرها حتى لاترى اليأس مرتسم على وجهها . " كنت بالفعل قد انتقلت لمكان آخر " حاولت أن تبدو مسرورة " لقد أتيت لآخذ متعلقاتى "

بدت جايل مستريحة " حسنًا " قالتها " لأننى ما كنت لأقيم هنا إذا كنت لا زلت تقيمين هنا . وبالطبع لن يوافق جيمس على ذلك . فلديه قلب من ذهب ".

" هذا جديد بالنسبة لى " فلم تحاول أن تُظهر دهشة " هل هو كذلك ؟ لم أعرف "

" آه نعم " بعد الفحص الشامل للطابق العلوى وبعناية فائقة أخذت تهبط إلى أسفل وذلك لارتدائها حذاء ذى كعب عالٍ " هو لا يحب أن يظهره للآخرين " .

" لا " قالتها كلير وكل دقيقة تزداد اكتئابًا " لابدّ وأنك تعرفينه من فترة طويلة " .

" كنا على اتصال دائم ببعضنا البعض " . أجابتها بخفة " عملنا سويًا لفترة عندما عملت بشركة كارتر وشركاه ومنذ تلك اللحظة اقتربنا من بعضنا " .

" كارتر وشركاه ؟ " زوج أختى يعمل فى تلك الشركة هذا لو كانت نفس الشركة يالها من مصادفة " .

" ما اسمه ؟ " .

" توم . توماس بارنت " ولكن جايل قطبت جبينها وهزّت رأسها . لابد وأنه انضم للشركة بعد رحيلها ، قالت كلير بعد ذلك فلم تعد تحتمل جايل وهى تحدثها عن الصداقة الرائعة بينها وبين جيمس .

نظرت من النافذة فرأت التاكسى يتوقّف خارج الكوخ . فتطلعت فى جايل للسلام عليها ، فأعطتها نظرة يرثى لها وقالت ؛

" لربما يمكنك الحضور لتناول كوب قهوة سويًا فى وقت آخر " فهزت كلير رأسها بأدب .

أحضر لتناول قهوة ؟ أم لتسمع المزيد من القصص عن جيمس الرائع ؟ ومن يعرف ربما عندما يحين هذا الوقت ستجدها تشارك جيمس سريره .

أحسّت بتأنيب الضمير ؛ لأن جايل بدت إمرأة لطيفة . على العموم ، هل هو خطأها بأنها ذكية ، جميلة ، جذابة وتعرف جيمس من سنوات ؟ .

مساء الجمعة ، فى لحظة متهوّرة ، اتصلت بأختها وقالت بدون مقدّمات ؛ " لقد قررت الحضور لحفلتك غدًا مساءٍ على أية حال .

www.elromancia.com

أعرف بأنك مندهشة " . أكملت عندما لاحظت صمت أختها وسمعتها تضحك بشغف . " حسنًا ، كما تعرفين بأنى كنت دائمًا أجبرك على الحضور لإحدى تلك المناسبات فى الماضي . فلم هذا التغيير المفاجئ ؟ " .

" ولم لا ؟ " تجنبت الرد قليلاً وهى تسمع عقل أختها بدأ فى الدوران بينما هى تهضم الرد ونبرة صوتها . " إذن عملية الشفاء لم تبدأ بعد " ، " قالت بجفاف .

تنهدت كلير بعبوس .

" بالطبع . حسنًا ، حفلة جيدة ستشغل عقلك قليلاً . وسيوجد الكثير من الرجال المحترمين " الحاضرين أكملت حديثها قبل أن تتيح الفرصة لكلير لمقاطعتها " اشترى لنفسك شيئًا جديدًا ولطالما وجدت أن شرائى أشياء " جديدة تشفينى من الاكتئاب ".

" لم يسبق وعانيت من الاكتئاب فى حياتك ، جاكى وعلى أية حال لا يمكننى الإسراف . فلاتنسى بأن لديك توم يدفع لك فواتيرك " .

" نعم أنا لدى توم " وافقت بسذاجة " ، وفى تلك الحالة ، يمكنك الإسراف قليلاً " .

ضحكت كلير على هذا وانتهت من مكالمتها بعد أن رتبت موعد مقابلتها .

فى الصباح التالى ، قررت الأخذ بنصيحة أختها وقامت ببعض التسوق . لقد أمضت ليلة أخرى غير مريحة فى لحظة مجنونة ، قررت قيادة دراجتها إلى قصر فريلتون لربما تلمح جيمس بالداخل . أخذت تقلب هذا الحلم فى صمت الغرفة وظلمتها حتى كما لو أصبح لها حقيقة سيبدو كما هو دائمًا ، طويل ، وسيم ، مُلئ حيوية .

من السهل التسوق فى " ريدنج " فلا يوجد الكثير من المحلات ولهذا تكون اختياراتها محدودة . دفعت فى ثوب أعجبها بإفراط ولأول مرة لم تهتم بتأنيب ضميرها . فالثوب قصير بلون ذهبى بفتحة عنق كبيرة ، أعطاها مسحة من الأناقة لا تظهر عند ارتدائها للجينز .

ستذهب إلى أختها مبكرة عن موعدها وسترتدى ملابسها هناك . قادت دراجتها إلى منزل كارن وهى تحمل حقيبتها ولم تستطع منع نفسها من الابتسام عندما تصورت رد فعل جاكى حين تراها الفستان .

ليس رعبًا ، بالضبط ، ولكن بلاهة .

كانت محقة ، وصلت إلى منزل أختها وهو مبنى كبير فى شمال لندن بحديقة رائعة والتى يتم رعايتها على الدوام . لاترى عشبًا فى مرمى البصر . حتى الشجرة العالية فى مكانها مرتفعة شامخة وكأنها تطيع الأوامر .

جاكى نفسها مسيطرة على كل شىء . لقد استأجرت من يهتمون بأمور خدمة الضيوف وبوفيه مفتوح فى جانب من الغرفة . يوجد بار فى الركن المضاد فى الغرفة والكئوس موضوعة على إحدى المناضد بجانب البار . تعرف كلير عن تجربة بأنه يوجد الكثير من الأنواع الجيدة للخمر . يحب توم خموره . فهو ينتمى إلى نادى خمور .

فى الواقع ، بدا كما لو كان هو المشغول بكل هذا أكثر من جاكى . وأخذ يداعب كلير وهو يربط رابطة عنقه أو هو يفحص المشروبات وقال لها : " إنك ترتدين ملابس عادية " .

" لا تقلق يا توم " قالتها كلير بحنو " لقد أحضرت ملابس معى". فهز رأسه بانشغال وذهب يتأكد من أن كل شىء فى مكانه الصحيح . بينما أخذتها جاكى إلى غرفة الضيوف والتى تنزل بها كلما أتت إلى هنا . " إنه مشغول " قالت جاكى بينما تنظر فى المرآة وتلقائيًا ترتب شعرها . شكلها رائع فى بدلة حريرية بيضاء والتى يبدو من مظهرها ليست رخيصة الثمن وزوج من الصندل بدون كعب . متماسكة ، غالية ، ذات طراز . تمنت كلير أن تظهر بمظهر جيد بعد أن رأت أختها . يا للحرج .

" سيوجد الكثير من العملاء الليلة ، وبعض المسئولين من الخارج ، أمريكا واثنين من فرنسا . يعلم الله لماذا لم نقم تلك الحفلة

فى إحدى فنادق لندن ولكن أعتقد توم أنه من الأحسن إرهاقى أمام فرن ساخن " .

" ولكنى كنت أظن الخدم قاموا بكل هذا " . أشارت كلير بضعف ، فضحكت جاكى .

" تعرفين ماذا أقصد بهذا . سأتركك ترتدين ملابسك " قالتها وهى تنظر إلى حقائبها " أتمنى أن أفتخر بك " أوه . نعم بالتأكيد ، فكرت كلير بينما وقفت أمام المرآة الكبيرة بعد ذلك بأربعين دقيقة ، لن تعرفنى جاكى ، أوه ،لو أن جيمس هنا ورأها لأدرك أن شخصيتها لم تتغير فقط ، ولكن كل شىء أيضًا .

* * *

الفصل السادس

لم تلحظ كلير وجود الحاضرين على الإطلاق . خرجت من غرفتها بعد أن أمضت وقتاً طويلاً ترتب من مكياجها وملابسها وتتطلع إلى نفسها فى المرآة الطويلة . أرادت أن تتأكد من مظهرها ؛ لأنها تشعر بالإضطراب من فستانها فهو ليس من النوع الذى تعودت على ارتدائه . إنه مسرحى جدًا ولكنها قررت بأنه ليس لأنه يكشف عن الكثير ولكن لأنه ملتصق بها ولايوجد الآن ما تفعله ولكن على أية حال يبدو أنها أحسنت الاختيار ؛ لأن جاكى أخذت تنظر حولها فى الغرفة أربعة مرات ومن الواضح تأثرها .

دخلت غرفة الجلوس ووجدتها مزدحمة بحوالى ٢٠ ضيفًا أو أكثر بالرغم من تأكيد جاكى بأنها حفلة صغيرة . وبمجرد دخولها إلى الحفلة التفت الحاضرون اتجاهها . سيدتان كبيرتا السن كانا شديدى الفضول عن سبب تغييرها بينما باقى الحاضرين أخذوا يحملقون فيها بعضهم خائف من أن يقدّموا أنفسهم فحاولوا اختبار الموقف أولاً ولهذا كان مبعث دهشة لها عندما سمعت شخصًا يهمس بأذنها ؛ " تبدين ساحرة . أين كنت طوال حياتى ؟ " . التفتت مندهشة ، لتجد نفسها تتطلع فى عينين شديدتى الزرقة يتفحصانها .

لم تسمع مثل هذا منذ عدة أشهر فاحمرّت خجلاً من هذا النوع الشغوف ولكنها منذ أن تركت جيمس ، وجدت أنه يمكنها التظاهر حتى لو كانت كتلة من الاضطراب من الداخل ، ابتسمت بأدب وببرود مع تأكيدها له أنها غير مستعدة للتملق ، ومن نظرة عينيه عرفت أنه استلم رسالتها ولكن هذا لم يوقفه إغراقها بالمديح معظم هذا المساء .

اسمه ستيفن هانكوك . وأصدقاؤه ينادونه ستيف ، وبسلاسة بدأ يخبرها عن نفسه . فهو من نيويورك ، أخبرها بصوت يجعلها تظن بأن لا يوجد مكان آخر مثل نيويورك . يعمل سمسارًا . عمل لفرع نيويورك لشركة توم كارتر وشركاه ، وأنه يبلغ من العمر ثلاثين عامًا ولكنه ذو خبرة واسعة .

نظرت إليه مبتسمة مفكرة بأنه فعلاً يبدو كأنه يمتلك كل الصفات الجيدة لذوى الخبرة . يرتدى ملابس فاخرة وحذاءً غالى الثمن ووجهه مكسو بلفحة شمس لقضائه أسبوع إجازة فى جزر البهاما .

" يالك من محظوظ " . قالتها كلير " فأنا لا أستطيع القيام برحلة تحت لمبة شمسية فى تلك اللحظة بغض النظر عن السفر للجزر " .

ضحك لذلك ورفعت رأسها فرأت أختها جاكى تغمز لها بعينيها . تجاهلتها كلير تمامًا . فهى تعرف بماذا تفكر أختها وأن ستيف هو الرجل المناسب لها بعد جيمس فورستر ، ولن تلعب بأى حال من الأحوال تلك اللعبة .

أخذ ستيف يتحدث عن نفسه فلم يسألها عن أى شىء من حياتها مما ناسبها تمامًا .

فى نهاية المساء ، بعد أن تناولت أربعة كئوس من الخمر ، أحسّت بالرغبة الشديدة فى النوم . أدركت كلير بأنها تعرف الكثير عن حياة ستيفن هانكوك . إذا كان يوجد شىء خفى فى حياته فلابد وأنه بذل مجهودًا خارقًا ليمنع ظهوره على الرغم من هذا ، عندما أخبرها أنه سيظل فى لندن عدة أشهر ويتمنى مقابلتها مرة أخرى ، ليست لدى أية ارتباطات " قال هذا وهو يرفع يديه مُسلّمًا . إلا أنها تحيرت من تصرفه فهو وسيم ومن الواضح متميز كما أخبرها بعدة طرق ، إذن لماذا يرضى بعلاقة بدون هدف من ورائها ؟ . عقلها لا يعقل تلك الأمور الآن ، وجدت من الصعب فى حالتها تلك التوصل إلى استنتاج عقلى ولهذا أعطته ابتسامة غامضة وقالت له " لم لا تحضر لرؤيتى فى وقت ما " .

" هل تعتقدين بأنى لن أحضر ؟ " قالها ضاحكاً "ولكننى سأفعل أنت شيقة ، مختلفة . لك جسد امرأة ، ووجه طفل . أحب هذا " . هل لاحظت خبث أو مكر فى ضحكته أو لربما يكون هذا خيالها

يتخيل أموراً لا وجود لها ؟ . فهزّت رأسها موافقة وانصرفت فى أسرع وقت ممكن . والاثنين الذى هذا مساؤه نسيت كل شىء يتعلق به .

فى هذا المساء ، كانت ترتب مكتبها ، تضع أوراقها فى ملف الأوراق لتستخدمها للرسوم الكروكية .

سمعت صوتاً من خلفها ، التفتت مذهولة . المكتب هادئ تماماً " . تونى فى مكتبه ، والباب موارب قليلاً ، وفتاتان من الحسابات لازالت تعملان ، ولكن لا يوجد أحد آخر غيرهما ، لقد قررت العمل لوقت متأخر ، جزئياً بسبب إعادة بعض التصميمات والتى قامت برسمها هذا الصباح ، ولكن فى الغالب ستبذل مجهوداً خيراً من أن تجلس بدون عمل لتستعيد ذكريات عديدة " .

" ماذا تفعل هنا ؟ " سألته وضحك ستيفن لتعبير وجهها .

" أتيت لأراك " أخبرها . " اتصلت بمنزلك وفتاة هناك أخبرتنى بأنك لم تأت بعد من العمل ، وأخبرتنى أين أجدك ولهذا أنا هنا ، من الصعب معرفة مكانك ، بيبى ، أليس كذلك ؟ حصلت على رقم الهاتف من أختك جاكى ؛ لا بد وأنك نسيت أن تعطينى إياه ، لا يسمونى شارلوك هولمز من لا شىء ، وهذه لك " . قدم لها باقة من الأزهار ؛ تنشقت عبيرها ، اضطربت لظهوره ومعه باقة من الزهور .

من طرف عينيها ، لاحظت تونى يتلصص عليهم ، ولم يحاول أن يخفى فضوله ، لوّحت كلير له بيدها ، انحنت لتلتقط حقيبة يدها من الأرض ثم استقامت وهى تسأل ستيف عدة أسئلة ولكن حقيقة لم تهتم بمعرفة إجاباته أو لتعرف لماذا حضر إلى هنا ، هذا سيظهر له أهتمام لحضوره . ألم تخبره بأنها غير راغبة فى عمل علاقة ؟ .

فى ضوء النهار ، لاحظت أنه شديد الجاذبية ، أسنانه رائعة بالتأكيد ، شعره مرتب بعناية وشكله شديد الأناقة ، ولهذا سألت نفسها عن السبب الحقيقى لحضوره هنا . كان تونى لازال يراقبهما ليتساءل عما يحدث ، فهى لم يحدث أن أحضرت حياتها الاجتماعية للعمل .

" إنى لمندهشة لحضورك كل تلك المسافة من لندن ، لرؤيتى فقط " . قالتها بلهجة المحادثة ، فتفحصتها بعينيه ، أطال النظر إلى صدرها قبل أن يقابل عينيها بود .

" ولم لا ؟ المسافة ليست بعيدة . فى أمريكا نقطع مسافات أطول من هذا ، بيبى " .

بيبى ؟ ابتسمت بضعف وسمحت له أن يخرج من المكتب . كان يسألها عن أحسن الأماكن لتناول وجبة ؟ وما نوع الطعام الذى تفضله ؟ فرنسى ؟ صينى ؟ ما رأيها فى الطعام اليونانى ؟ هل تناولته من قبل ؟ .

" فى الواقع لا ... " بدأت وأخذت تتساءل كيف تستطيع الاعتذار منه ولكن الابتسامة المعتذرة ماتت على شفتيها بينما هى تنظر أمامها وتلقّت الصدمة الثانية فى غضون خمس عشرة دقيقة . يقف أمامها جيمس عند الباب الخارجى . لو كانت تتوقع حضوره لربما كانت تمكنت من عدم إظهار دهشتها . لقد شعرت وكأنّ الأرض اهتزت من تحتها .

اللعنة ، يبدو شديد الحيوية ، أخذت ترمش لربما يكون من صنع خيالها وسيختفى ولكنه لم يفعل . لازال واقفاً هناك ، عيناه الخضراوان المشعتان تتفحصان ستيفن ثم ترجعان إليها بدون تعبير وببرود .

يستند إلى الباب ، يداه فى جيوبه ويبدو وسيماً جداً حتى أحسّت بفمها يجف ، مقارنة ستيف به ، يبدو ستيف كأنّه الولد ذو الوجه الحسن الذى يقطن بالمنزل المجاور .

" من هذا ؟ " سألها ستيفن ، فى صوت شخص يحاول تقدير قوة خصمه ويجد بأن الخصم أقوى ، سؤاله هذا رجعها إلى الأرض .

" شخص ليس له أهمية . " قالتها بسرعة ، وهى تسحبه ناحية الباب ؛ لأن تونى لا بد وأنه يكاد يموت من الفضول . شعرت بوجهها يتصلّب وفمها يجف . " مالك البيت القديم " .

" أوه ، هل هذا هو كل الموضوع ؟ " استرخى وشبك ذراعه فى ذراعها . لفتة اندهشت لها ولكنها تركت يدها معه . لم تحب بالمعنى التملكى من ورائها ولكنها " تريد عمل إزعاج " .

انقبض وجه جيمس واستمر يحملق فيها بطريقة جعلتها تحمر غضباً ، لماذا تشعر بالذنب لوجودها برفقة رجل آخر ؟ . تضايقت من الطريقة التى يقف بها عند الباب الخارجى يسد عنهما الطريق .

" هالو " قالتها عندما أصبحت فى مواجهته " ماذا تفعل هنا ؟ " .

" ألن تقدمينا يا كلير ؟ سألها بصوت بارد مؤدّب فقدمتهما وهى غاضبة ومهتاجة .

" أنا هنا فى إعارة . " فسر ستيفن " أنا أعمل فى سمسرة البورصة ، بالمناسبة " .

" مثير للاهتمام " قال جيمس بصوت بارد " أنا أعمل فى كارتر وشركاه – لربما سمعت بهم ؟ " .

" يبدو لى أننا تقابلنا من قبل ، هل تقابلنا فى مجال العمل ؟ " .

" لحساب من تعمل ؟ " .

" فورستر جروب " قال جيمس بفظاظة ، فهزّ ستيفن رأسه .

" شركة كبيرة . ما هو مركزك هناك ؟ مدير ؟ " .

" شيئاً من هذا القبيل " لم ينظر إلى ستيفن أثناء محادثتهما . كانت عيناه مثبتين على كلير ورفضت بعناد أن تقابل عينيه .

" شيئاً من هذا القبيل يالكم من قوم أيُها البريطانيون ! أساتذة فى التقليل من شأنكم ! لقد تعاملنا معكم . أى فرع تديره ؟ " .

" كلها " أشاح بعينيه عن كلير ونظر إلى ستيفن بنفاد صبر .

" كلها ؟ " ضحك ستيف ، وهو يرفع حاجبيه بعدم تصديق .

" أنا أمتلك الشركة " .

بعد هذا ساد الصمت . بينما احمرّ وجه ستيفن ولأول مرة بدا وكأنه غير مستريح وكأنه خارج عن المجموعة . نظر إلى كلير والتى أتاها إحساس بالحماية له . فستيفن لم يعرف من هو جيمس عندما قامت بالمقدمات . وهذا جعلها غاضبة لرؤيته يتضاءل من عدة جمل قليلة من جيمس .

" ماذا تفعل هنا ؟ " كررت السؤال بفظاظة ولازالت ترفض مقابلة عينيه والتى ستذكرها بما فقدته .

" لقد نسيت بعض متعلقاتك بالكوخ فى سرعتك لتتركى الكوخ فى هذا المساء . إنها عندى بالقصر " .

" حسناً " قالت كلير " سأحضر لآخذها فى وقتٍ آخر . لا أظن أنها ذو أهمية ؛ لأننى لم أفتقدها " نظرت إلى ستيفن ثم قالت

" يمكننى الحضور الآن لآخذهم إذا أحببت ، ستيفن هل تمانع فى توصيلى إلى ؟ " .

" سيناسبنى غداً أكثر " قاطعها جيمس بنعومة .

" لايوجد داعى لوجودك للإشراف " . ردّت بحرارة فابتسم فمه.

" لا ، ولكن من الأفضل وجودى ". هل يجب عليها ملاحظة عدم ثقة خلف تلك الجملة ، تعجبت .

الآن ، تونى أخذ يقترب منهم وهو يتفحص ثلاثتهم . بإكراه قامت كلير بتعريفهم ببعضهم . وبمجرد ذكر اسم جيمس لتونى أضاء وجهه بابتسامة ساحرة عريضة . هى تعرف ماذا سيحدث الآن، يوجد صفات من البائع فيه . بدأ بعد ذلك يعطى شرح مفسر بقدرات شركته فى مجال الدعاية ، وماذا يمكنها أن تفعل لبعض الشركات تأوّهت كلير وهى لا تعرف أين تنظر ثم اندهشت عندما سمعت بعد انقضاء خمس دقائق من الشرح المفسر لتونى أن جيمس سيعطى لتونى رداً على مقترحاته .

" سأتصل بك " قال جيمس بينما ابتسم تونى ابتهاجاً ونظر إليها وهو يشعر برضى بالغ بالنفس .

ابتسمت بوهن له متحيرة لانقلاب الأمور ، ماذا يقصد بقوله " سأتصل بك ؟ " هل هى ملاحظة ليتخلص منه أم هل لديه خطط لشركة الدعاية ؟

انصرف تونى ولم يحاول أن يزد ، ابتعدت كلير عن جيمس وهى تجذب ستيفن إليها فى اتجاه الباب ، تابع جيمس حركة كلير ولكنه لم يقل أى شىء ، بل فتح لهم الباب وجعلهم يسبقونه فى النزول إلى السلالم ثم إلى الشارع .

" لقد أوقفت سيارتى فى مكان بعيد بعض الشىء ." قال ستيفن " لم أكن متأكداً من مكان عملك ولهذا تركتها فى مكان أبعد قليلاً حتى أتمكن من العثور على العنوان مشياً على الأقدام ، من اللطيف مقابلتك ، يا سيد " .

مدّيده للسلام إلى جيمس الذى تظاهر بعدم رؤيته وبمجرد ابتعاد ستيفن عن مرمى السمع التفتت إليه ثائرة " لماذا كنت شديد الوقاحة هكذا معه ؟ عاملته مثل معاملتك للشخص الأبله ! أولاً تحضر إلى هنا حيث أعمل وأنت تعرف بأنى سأحرج ثم كما لو كان هذا غير كافياً ، تعامل ستيفن بطريقة غبية . "

" هذا ليس على الإطلاق صعباً " تشدّق جيمس ، وهو ينظر إليها ، " من هو بالضبط ؟ " .

" لقد عرّفتك به " تمتمت تجيب على سؤاله بالظاهر . " ستيفن هانكوك ، سمساراً ، " نعم ، نعم " قاطعها بنفاد صبر وهو يضع يديه فى جيوبه ويحملق بها "أعرف هذا ، منذ الخمس دقائق

الأولى من التعارف أعطانى تقريرًا مفسرًا عن نفسه " " إذن ما هى المشكلة ؟ " سألته ببراءة " أنت تعرف من هو " .

" اللعنة ، توقفى عن ممارسة ألاعيبك معى " قال بصوت حاد ،، " وأنت توقف عن تصرفك وكأنك تملكنى ! لقد انتهينا أتتذكر ؟ " .

" أين قابلته ؟ " أصر قائلاً كما لو أنها لم تنطق بكلمة ، ومد أصابعه يعْصر رسغها فأحسّت كأن الحياة دبّت بجسدها .

" فى حفلة " اعترفت بإكراه " لقد تسرّعت " تمتم جيمس وأحست بمعنى خفى فى صوته " صيد ثمين ، أليس كذلك ؟ " ، رفعت عينين غاضبتين فى اتجاهه . هل يعنى بأن علاقتهما لم تنته بعد ؟ وأنه لايزال يرغبها بالرغم من أنه يعتقد بأنها جشعة ؟ يمكنها تخيل شعوره الآن ، جيمس فورستر العظيم والذى يتكلم بصوت هادئ ليطاع ، لابد وأنه يفكر بأن شخصاً آخر يحوم حول فريسته ولا يحب هذا الشعور على الإطلاق ، " لن أهتم حتى بالرد على هذا السؤال " أجابته بغضب عندما ترك رسغها ليشبك أصابعه بأصابعها كتهديد "والآن هل تتركنى ؟ ستيفن سيصل فى أى لحظة الآن " ، " لا أرى علاقة بهذا أنى ألمسك ، هل تقابلين هذا الفتى كنوع من الدفاع ؟ لا يمكن أن تكونى بأية طريقة منجذبة إليه ، فهو مغرور ومنتهز للفرص كذلك " .

" على الأقل ليس كذاباً " أجابته فضغط بأصابعه على أصابعها ، " لم أكذب عليك مطلقاً " .

" حوّمت فقط حول الحقيقة ، حسناً ، ، هذا لا يهم الآن " وأكملت فى إلهام مفاجئ "وأنا أجد ستيفن جذاب جداً إذا أردت حقًا أن تعرف ، فهو مسل وذكى ، ونعم هو صيد ثمين " .

" أنت حمقاء ، إنه ليس نوعك ، فهو خطير " ، " أرجوك ، أرحنى " قالتها بتنهيدة ثقيلة ونافدة الصبر . " المرة القادمة ستقول إنك قد شاهدته ضمن لوحة المجرمين " .

ظهرت سيارة ستيفن ، فخطفت يدها من جيمس وبدأت تدلك الدمّ فى عروقها .

كان جيمس ينظر إلى السيارة وهو يضيق عينيه محاولاً إكمال الحديث " هل يمكننى الانصراف الآن ؟ " سألته بسخرية لاذعة " أم لديك بعض التصرفات ترغب أن تشاركنى فيها ؟ " .

" أوه ، يمكنك الانصراف " قالها بكسل على الرغم من أن عينيه تلمعان شذراً . " لاتنسى أن تحضرى لأخذ متعلقاتك " .

"أوه ، سأتأكد من إزاحتهم من طريق صديقتك فى وسط الأسبوع " .

لم تقصد أن تقل هذا وتمنت لو أنها لم تفعل عندما رأت نظرة السعادة بعينيه ، أدركت أنها لاتزال تحت سيطرته ؛ لأن هذا هو مايريده ، أن يرجعها إلى عبوديته ، التفتت إلى ستيفن وسارت لتركب السيارة جسدها متصلب لشعورها بأنه يراقبها ، لم يكن لديها أى فكرة عما تحدثت عنه طوال هذا المساء . لاحظت أن ستيفن جذاب ولكن ظهور جيمس تمكن من تعكير هذا المساء .

تناولا عشاءهما فى مطعم إيطالى فى وسط المدينة وكان المطعم مزدحمًا مع أن هذا اليوم كان الاثنين . حاولت كلير بذل مجهودًا كبيراً لتضحك وتكون مسليّة ولكن عقلها دائماً يرجع بها إلى هذا المشهد مع جيمس وتتذكر تنميل جلدها عندما لمسها جيمس .

انتابها شعور بالراحة عندما رجعت إلى المنزل . أصبح من الصعب المحافظة على ادعاء البهجة والسرور اللذين يستحقهما ستيفن بعد عنائه فى إسعاده ، سافر لمسافة طويلة ليدعوها على العشاء وليس من العدل مشاركتها فى حمل عبء مشاكلها ، ولكنه كان متشوقًا ليعرف الكثير عن جيمس ، شركته ، توسعه الأخير فى الاستشارة المالية والتى ظهرت لفترات طويلة بتفسير عميق على الجرائد .

قابلت كلير تلك الأسئلة بعدم إدراك وضحك ستيفن لجهلها وهو يداعبها ولهذا رجعت بدهشة للخلف ثم نظرت إليه معتذرة ، مجرد لمسة بسيطة منه ضحكت على ردة فعلها المبالغة فيها ، فالرجل

ليس شريراً إنما محباً لذاته فقط فتحت باب السيارة للخروج إلا أنه أمسك يدها ليسألها متى سيتقابلان مرة أخرى " لا أعتقد بأنها فكرة صائبة " قالت كلير باقتضاب وهى تحاول أن لا ترتبط بموعد .

" لا تريدين أن تكونى مسئولة فى تحطيم قلب رجل أليس كذلك ؟ " سألها " ما رأيك يوم السبت ؟ "

نظرت بشك إلى ووجهه الوسيم وهى تلعن تحذيرات جيمس لها ، بأى حال بالطبع سيقول لها هذا حتى يمنعها من مصاحبة أى شخص آخر .

ابتسمت ثم قالت " ربما ، لم لا تتصل أولاً ؟ يجب أن تتذكر بأنى لا أبحث عن أية علاقة " .

" بالطبع " أجابها بدفء " وأنا كذلك " .

تقريباً توقعت منه أن يحاول مداعبتها وشعرت بالارتياح عندما لم يحاول .

لم يذكر تونى أية كلمة عمّا حدث بالأمس حتى ميعاد مغادرتها فى المساء ، عندما أخذها جانباً وسألها مباشرة متى سترى جيمس .

" ماذا يعنى لك ، على أية حال ؟ " سألها وألقته كلير بنظرة قاتلة " وهو كذلك إذن فهذا ليس من شئونى . أريد فقط معرفة متى ستقابلينه المرة القادمة حتى تتمكن من تذكيره بهذا العرض الذى ذكرته له بالأمس عندما حضر إلى هنا . "

" لماذا يجب علىّ القيام بعملك القذر ؟ " سألته بدون النظر إليه وهى مشغولة فى ترتيب مكتبها ، " بالإضافة ، لربما يستخف بك ، من المحتمل وجود شبكة من وكالات الدعاية تعمل له " .

" هل تعتقدين هذا ؟ " ألقاها بنظرة غريبة " كيف لك أن تعرفى بكل تلك المعلومات عن هذا الشخص ؟ لم أتخيل أبداً أنك من هذا النوع من الفتيات اللاتى يحوم من حولهن الرجال ولكن مقارنة بأمس .. " إذن كان يفكر فى هذا ، تقريباً يمكنها سماع عقله وهو يطن ، يطرح التفسيرات والسيناريوهات لتغذى فضوله عن كل شىء وكل شخص ، كم من الوقت سيمضى قبل أن يعرف من المكتب بأنها امرأة لعوب ، هذا ما يتضمنه كلامه .

" حسنا " قاطعته " سأذكره بما قلته له ولكن لا تلومنى إذا لم يحدث شىء " .

" جيد " ابتسم لها " نحن هنا فريق عمل متكامل ، والعمل الجيد دائماً نقدره ."

تلك هى المرة الأولى التى تسمع تفسيره هذا فضحكت بإذعان. لا يمكنها من الكذب عليه أبداً .

بعد العمل ذهبت إلى القصر مباشرة ، على الرغم من أنها كانت تفضل الذهاب للاستحمام وتغيير ملابسها ، كانت تتمنى عدم وجود

www.elromancia.com

جيمس بالقصر . استطاعت أن تستعير سيارة كارن حتى لا يحضر إلى توصيلها بسيارته .

دقت الجرس وكانت مستعدة لشرح سبب حضورها لمدبرة المنزل عندما انفتح الباب ووجدت نفسها تحملق فى وجه جيمس . كان شعره رطباً ويبدو منتعشاً فلا بد أنه أخذ حماماً .

" حضرت لأجمع متعلقاتى " غاضبة من نفسها لملاحظة وسامة وجهه وانبهارها به ، وغاضبة منه لتأكدها من وجوده بلندن فى هذا الوقت " ألا يجب أن تكون الآن بالعمل ؟ " " ألهذا أتيت مبكرة إلى هنا ؟ " سألها بهدوء " أعتقد بأنى أخبرتك بوجوب وجودى عند حضورك إلى هنا ، أشياءك بغرفة الجلوس . "

متعلقاتها عبارة عن كتابين ، بعض أدوات الرسم القديمة غير صالحة للعمل بها وبلوفريين قديمين ، والتى نسيتهما فى المجفف .

" كان يمكننى الاستغناء عن تلك الأشياء " ، أخبرته " لم يجب على الإسراع إلى هنا لأخذها ، كان من الممكن لصديقتك أن تقذف بهم فى صندوق القمامة " .

" صديقتى ؟ " .

" أوه ، أنا آسفة بشدة . " اعتذرت بطريقة ساخرة " هل قفزت إلى الاستنتاج الخاطئ ؟ جايل ذات الشعر الأشقر ، ذات السيقان

الطويلة والمتاحة لك بإقامتها بالكوخ ، ليست فقط صديقة ، أليس كذلك ؟ لقد افترضت ... "

"غيورة ؟ " سألها وهو يرفع حاجبيه متسائلاً ، " مصابة بخيبة أمل " ردت بسرعة "كنت أعتقد بأنك ستنتظر قليلاً قبل أن تجد من تشاركك فراشك " .

انقبض وجهه وأخذ خطوة فى اتجاهها مما أسرع فى تنفسها " أنا وجايل أصدقاء منذ فترة طويلة " قالها بنعومة مما جعل الدموع تلسع عينيها ، ضحكت وقالت " كما قالت لى بأنكما صديقين قديمين أو ما شابه " .

مشى ببطء فى اتجاهها بتلك الخطوات السهلة الرشيقة مما يذكرها بحيوان وحشى رشيق الخطوات ماذا يعتقد بأنه فاعل . يحبها فى هذا الركن ؟ يتسبب فى اضطرابها ؟

وقف أمامها ، ببضعة بوصات ورائحة عطرة تسيطر على حواسّها .

سمعت نفسها تتلعثم وهى تخبره بأنها يجب أن ترحل الآن وأرادت ان تصرخ غاضبة مما يفعله بها " مضطربة ، كلير ؟ " سألها بنعومة " لماذا ؟ " . " أنا لست مضطربة " أجابته بحدة ولكن يديها تتشبثان بالحقيبة وأحسّت بساقيها ترتعشان .

" لا داعى لهذا " تمتم بصوت أملس وكأنها لم تتكلم " هل نسيت بأننا يعرف أحدنا الآخر جيداً ؟ قال هذه الجملة بصوت شغوف مما جعلها تشعر بالعرق يغطيها .

" يجب أن أذهب " قالت هذا والتفتت مغادرة فلم تكد تصل إلى منتصف الغرفة حتى ناداها قائلاً : " أنا لم أنته معك بعد " .

" سامحنى " التفتت إليه غاضبة مثل خصمين يتبارازن عبر الغرفة " ولكننى انتهيت من الحديث " .

نظر إليها شذراً ، فمه عدوانىّ ، حاجباه مضمومتان اقتضاباً ، مما جعلها ترغب فى الفرار منه سريعاً ، " لا تظننى هذا " قال غاضباً واقترب منها فى خطوتين . وضع أصابعه بشعرها وأدركت بصدمة بأنهما يتنفسان بسرعة متلاحقة . مما أفزعها وجعلها تحاول أن تفلت منه إلا أنه أمسك بها بشدة مما جعلها غير قادرة على التحرك .

* * *

الفصل السابع

" دعنى أذهب " طلبت منه بحزم " لماذا ؟ " سخر منها " هل لديك موعد ؟ " .

" مع ستيفن " أجابت بتهور " إجابة خاطئة يا حبيبتى " .

كان هذا آخر ما قاله قبل أن يلمسها لوقت قصير شعرت بانعدام الهواء برئتيها ، رجعت برأسها للخلف حتى يستطيع تقبيلها وأخذ يداعبها حتى شعرت بنفسها تسبح فى كون آخر ثم أفاقت لنفسها وابتعدت عنه بعنف ، لم تعرف ماذا تقول أو أين تنظر وهى تسخر من نفسها والأقاويل المزعومة التى رددتها بأنها لم تعد فى حاجة إليه .

على الأقل تمكنت من كسب بعض الإحترام لذاتها عندما سحبت نفسها من جانبه .

التفتت خارجة فأمسكها لتلتفت إليه ، عيناهفى برودة الثلج " إذن أنت تسرعين لمقابلة ستيفن " قال بلهجة باردة " بعد إستجابتك لى الآن . سأكون مندهشاً أن تبقى شيئاً لهذا الولد " ، " أوه هل ستكون كذلك ؟ " لم تجد ماتقوله سوى هذا ، والذى بدا غير مؤثر .

" هل شاركته العواطف ؟ " سألها بوحشية ثم أكمل بدون أن ينتظر إجابتها " أنتِ حمقاء غبية ماذا تظنين نفسك فاعلة بالظهور معه هكذا ؟ " .

" أنت مثل الطباشير والجبنة . ألا تعرفين أنى أعرف بأنك ساذجة تحت هذا المظهر الخادع من الثقة بالنفس ؟ " .

" توقف عن إعطائى أية نصائح ! يمكننى مسايرة حياتى . شاكرة لك كثيرًا " .

" لا . لا تستطيعين .وإلاّ لما كنت خرجت مع تلك الحشرة " . أظلمت عيناها للهجته " هل كنت تعتقد بأنىّ فى أيد أمينة عندما كنت معك ؟ " سألته فأحمرّ خداه بحمرة شديدة .

" على الأقل كنت أرعاك "

" ها ، لا تجعلنى أضحك . رعيت نفسك . أحببتنى ؛ لأننى أعجبتك إلا أنك لم تجعل هذا يؤثر فيك . حبست مشاعرك فى برج عاجى لا فى نفسى " وتوقعت غضبه الشديد على قولها هذا .

" أنا آسفة " همست كما لو كان قد تحوّل إلى صنم ، فمدّت يدها تداعبه إلا أن يده قبضت على رسغها .

" يجب على أن أتركك لأخطائك " قال بلهجة حادة فنظرت إليه نظرة غاضبة فاستشاط غضبًا لهذا .

" أتمنىّ أن تفعل هذا "

" ما هو السبب الحقيقى لمقابلته ؟ هل وعدك بنقود ؟ بالزّواج ؟ هل حقًا وعدك بذلك ؟ "

" نقود ؟ زواج ؟ ماذا تقصد بهذا ؟ أنا بالكاد أعرف الرجل " .

" حسنًا ، لا يمكن أن يكون مجرد انجذاب " .

" ولم لا ؟ " لمعت عيناها " فهو شديد الجاذبية ، هذا إذا كنت تعجبين بالنظرة التجميلية " .

" لربما أفعل ، ولربما يكون هذا تغيير لطيف للإبتعاد عنك " .

نظر إليها غير مصدّق ولثانية ظنت بأنه سيقبلها مرة ثانية ليثبت لها تأثيره عليها . وبتهور قالت " ليس هذا من شأنك ولكننى شغوفة جدًا به ! . أنت لست الوحيد القادر على جعلى أحبك كما تعرف " .

اسودّت عيناه بالغضب ولكن لا يمكنها الآن أن تسحب كلامها، ولكن لن يهمها ماذا يعتقد أو ماذا يريد . فخطؤها الكبير من البداية هو علامة بمدى حبّها له .

" لا يمكن أن يؤثّر وخاصةً فيكِ لو عرفت ما هى نوع السمعة التى يمتلكها " . قال باقتضاب فاتّسعت عيناها من الدهشة " عماذا تتحدث؟ " سألته بحيرة " سمعة ؟ أية سمعة ؟

" سألت جايل عن صديقك ستيفن هانكوك وما قالته عنه ليس سارًا " .

تطلّعت إليه بغضب .

" هل تتجسس عليه ؟ " أجابها وهو لا ينظر إلى عينيها " ولكنه ذكر لى مكان عمله وكما تعرفين كانت جايل لقد تعمل هناك من قبل ولهذا سألتها إذا كانت سمعت عنه من قبل ، كل هذا مجرّد سؤال " .

" مجرد سؤال ؟ أنت لا تفعل أى شيء إلا بمبرر . يوجد هدف خفى دائمًا لديك . كيف يمكنك فعل هذا ؟ . ماذا قلت لها أيضًا ؟ هل سخرت منّى أمامها ؟ " .

" لا تكونى مسرحية " التفت مبتعدًا بينما انقبض فمه ، ثم تبعته إلى الأريكة حيث جلس بثقل وأسند رأسه للخلف لينظر إليها من تحت رموشه ، ويداه خلف رأسه .

كان شكله مسترخيًا تمامًا ولتمنّت قتله . ماذا يظن نفسه ، ليسأل كل هذه الأسئلة من وراء ظهرها . وقفت تنظر إليه و عيناها تلمعان غضبًا .

" أنا لست مسرحية " صرخت فيه " وعلى أية حال ماذا إذا كنت كذلك ؟ ألن تكون مسرحيًا لو قرر أحد التجسس على إحدى أصدقائك من وراء ظهرك ؟ " .

" ألا تريدين أن تعرفى ماذا اكتشفت ؟ "

" لا ، لا أريد أن أعرف ماذا اكتشفت ؟ "

التفتت وهى تنظر إلى الباب ، يجب عليها أن تخرج من هنا وتأخذ متعلقاتها وترحل ، هذا ما يجب عليها أن تفعله ، دعيه يحتفظ بمعلوماته القيمة لنفسه . ليست مهتمه لتعرف الثرثرة التى لديه . أليس كذلك ؟

" ماذا اكتشفت ؟ " . سألته وهى تنظر شذرًا إليه . " اجلسى " أجابها " أنت تحومين وهذا يشتت من تفكيرى " .

" لا شيء يشتت من تفكيرك " تمتمت ، فضحك ضحكة خبيثة . يمكنه أن يتغير من الغضب إلى الجاذبية فى لمحة البصر . جلست بأدب ، وضعت يديها على ركبتيها وهى تميل للأمام مما جعل شعرها يغطى وجهها .

" ما كان يجب عليك أن تسأل أسئلة عن ستيفن من وراء ظهرى " قالت له متهمة وقبل أن يخبرها بأنها يجب أن تكون ممتنة له لحمايته إياها .

" ولم لا ؟ " سألها مباشرة .

" لأننا أصدقاء ، وأنت لا تهتم بى ولهذا لا أعتقد لماذا تهتم بشئونى " .

نظر إليها مفكرًا ثم قال " الرجل منتهز للفرصة . من الواضح بأن له سمعة بهذا منتشرة فى شركة كارتر وشركاه . لا تعرفه ، جايل ، شخصيًا تركت الشركة قبل أن يلتحق بالعمل فيها ولكنها لازالت على اتصال ببعض الأصدقاء هناك ، وكلهم قالوا نفس الكلام بأنه غير أخلاقىّ " .

كانت تتوقع منه أن يخبرها هذا فلم تظن بأنه سيقول عن ستيفن بأنه الولد المعجزة والكل يحبه .

إلا فقد على الرغم من هذا أنها تضايقت وجرحت ؛ لأنه يظن بأنها برينة جدًا وفى حاجة إلى التحذير ؛ لأنها لا تستطيع حماية نفسها.

" إذن " قالت بصوت ناعم " بكلمات أخرى هل هذا منقول عن صديق إلى صديق " .

اختفت الجاذبية الظاهرة بسرعة كما ظهرت بسرعة وقطب حاجبيه .

" أؤكد لك بأنْ جايل لا تكذب " .

" لا " أجابته كلير " حسناً ، لن تكذب ، أليس كذلك ؟ " .

" ماذا تقصدين بهذا ؟ " .

" لقد اخترت أن تعجب بها " قالت بسخرية " لهذا يجب أن يعنى هذا بأن كل مؤهلاتها لديك جيدة " بدا هذا وكأنها شديدة الغيرة ، " على أية حال ، أشكرك على تحذيرك ،سأحاول وأتذكره ".

وقفت فصرخ فيها " اجلسى هنا " .

" لن أفعل ، أنا ذاهبة للبيت ولست فى حاجة لترينى طريق الخروج . أنا أعرف مكانه " سارت باندفاع وعندما فتحت الباب أغلقه قبل أن تتمكن من الخروج وحافظ على يده بالباب حتى لا يمكنها الخروج .

لا يمكنها النظر إلى وجهه فهو يقف بالقرب منها يكاد أن يلتصق بها بعناد نظرت إلى الأبواب الكبيرة على الطراز الفرنسى ، " لن تريه مرة أخرى " .

" اعذرنى " .

" سمعتنى " أجابها " لن يمكنك الصمود أمام رجل مثل هذا ولا يوجد مبرر لعدم سماعك ما أقوله لك . أنا أعرفك أكثر ما تعرفين نفسك ، إلاّ إذا كنت تريدين إنهاء حبنا إذن فهذا حقك ولكن ابتعدى عن هذا الرجل ، فهو سيئ " .

" لو كنت أريد منك أن تدير شئون حياتى ، لسألتك وفى خلال هذا الوقت ، تأكد من أنى أستطيع إدارة شئونى " .

" أحتاج لرؤية ذلك بنفسى حتى أتأكد من هذا " لازالت لم تنظر إليه ولكنها تشعر بعينيه تراقبانها تتفحصانها فى أعماقها ، هو الوحيدالقادر على الوصول إليها .

" لماذا تفعل هذا ؟ " سألته بصوت منخفض مرتبك ، " لأنك لا تعرفين نوعية رجل مثل ستيفن هانكوك ، يستغل النساء ويقبل منهن هدايا . مما سمعته يعتبر هذا حقه ، وأعرف عدم قدرتك على تقديم الهدايا له ، ولكن مما رأيت منه فهو يجدك برينة ومثل سمكة البراكوداو سيلتهمك " .

" إنه ليس كذلك " احتجت ، فهز رأسه بنفاد صبر وهو يمسكها ويجبرها على النظر إليه مما اضطرها أن تنظر إليه .

" انصتى إلى ما أقوله " قالها بغضب " لا تكونى غبية . لا تخرجى مع هذا الرجل لأنك أصبت بخيبة أمل منى " .

" لا تكن شديد الغرور هكذا " كرهت مايمكنه رؤيته فيها " سأرى من أريد والآن إذا سمحت لى بالانصراف ؟ " .

رجع للخلف ليسمح لها بالإنصراف وهى تعرف بأن عنادها ضايقه وأغضبه .

التفتت قائلة " ابتعد عن حياتى " .

" وإلا ماذا ؟ " سألها بضيق " ماذا ستفعلى ؟ هيا أخبرينى . فأنا أتشوق لأعرف " .

لم تجبه على هذا . كادت تجرى هرباً وهى خائفة أن يتبعها ليكمل المناقشة مع جايل كنج . بالفعل ، قالت جايل كنج هذا وهذا .

لا يمكن أن يكون اخترع كل هذا ، فلابُد من وجود بعض الصدق بحديثه ، ولهذا عندما اتصل ستيفن بها كما قال لتذهب لمشاهدة مسرحية معه فى لندن اخترعت له سببًا مقنعًا للرفض .

" تبدين مختلفة " قال لها هذا على التليفون " ما الأمر ، يا طفلتى ؟ كنت أتمنى أن تكونى مرشدتى حول تلك المدينة الجميلة " .

" سأكون مرشدة بدون قيمة " قالت هذا " فأنا أعرف القليل عن لندن ، ولكن يمكننى التوصية بعدة مرشدين ممتازين " ، " ولكن لن يكونوا ظرفاء مثلك " قالها بصوت أجش مما جعلها تقطّب جبينها .

" انظر ، أنا لست مهتمة بالإطراء ستيفن " قالت بحزم " لقد أخبرتك بذلك صراحة عندما تقابلنا فى حفلة أختى " .

" أنا لا أطريك " قالها بصوت عاقل متزن ، حتى إنها تعجبت من أنها لربما أساءت الظن به "هذا لأنى بعيد آلاف الأميال عن بيتى ، بعيداً عن أصدقائى . أنا آسف إذا قلت لك هذا ولكن من الظريف أن أقابل شخصًا أستريح إليه " .

استرخت قليلاً " حسناً " وهى تشعر بتحُسن بالغ ، " ولكننى لا أستطيع مقابلتك الليلة . لدى خطط أخرى " . " وماذا عن الغد ؟ " سألها بسهولة فدعاها إلى مطاعم لندن الفاخرة لتناول العشاء .

تركت تحذير جيمس جانباً وبالفعل أمضت وقتاً رائعاً بصحبة ستيفن وفى نهاية السهرة أخبرها بأن عمله فى لندن انتهى .

" هكذا ؟ " سألته مندهشة " كنت أعتقد بأنك ستمضى شهرين " لم تستطع منع نفسها من الشعور بالراحة لتلك الأخبار ولكنه لم يلاحظ ، أخذ يهز رأسه نافياً بينما همس إليها من الجانب .

" على الأقل " قالت كلير " ستكون سعيداً لرجوعك إلى أصدقائك " .

" لست سعيداً لأننى سأترك آخرين ورائى " . أجابها بغموض ، فابتسمت بعدم الفهم .

توقف التاكسى وقد كان أشبه بمعجزة فى وسط لندن سألته " هل ستتمكن من زيارتى ؟ " .

" ليس سريعاً هكذا " تمتم بسلاسة وهو يمسك بيدها فى يده مبتسماً " سأغادر بعد أسبوع ونصف لازال أمامنا الفرصة لأدعوك على العشاء مرة أو مرتين . أليس هذا ممكناً ؟ " .

ضحكت كلير وأنقذها سائق التاكسى بفتحه باب السيارة لها ليسرعها فى الرحيل ، فلم تتمكن من الرّد على ستيفن وبينما التفتت لتركب ، مال إليها ستيفن وقبّلها ، بأدب قدّمت له خدّها إلا أنه انحنى وقبّلها شعرت بانزعاج ولم تتمكن من قول أى شىء لتشغيل السائق لمحرّك السيارة .

فى صباح اليوم التالى ، نسيت كلّ ما يتعلق بستيفن كانت آخر من وصل إلى المكتب وتلك كانت المرّة الأولى ونتيجة لذلك لم تتناول طعام الإفطار وعند وصولها المكتب بكوب من القهوة القوية وملعقتين سكر وفى طريقها إلى مكتبها ، قابلها تونى خارجاً من مكتبه وأشار لها باللحاق به ، همست كارن لها بسر ولكنها لم تسمعه .

" وهو كذلك ، وهو كذلك ، إنى قادمة " .

سار إلى مكتبه ، وتبعته كلير ، ممسكة بكوبها ، ألا يمكن أن يتركها تستمتع بكوب القهوة فى الصباح ؟

دخلت مكتبه ، فتحت فمها لتخبره بهذا . تسمّرت فى مكانها من المفاجأة وهى تحملق فى جيمس .

كان مرتدياً بدلة رمادية اللون كأى رجل أعمال ناجح ، وعيناه تتطلعان إليها بسخرية .

" حسناً " عجلها تونى من وراء مكتبه " اغلقى الباب ، أرجوك هل تعرفين ما الوقت الآن ؟ لقد أخبرت مسترفورستر بأنك دائماً ما تحضرين مبكراً " فالتفت إلى جيمس بابتسامة متملّقة " من بعدى ، على الأقل " .

كان على كلير أن تجاهد من أن تبتعد بعينيها عن جيمس . صدمة هائلة أن رؤيتك له هنا ، نحيف ، أسمر وملىء بالحيوية وعلى ما يبدو ليس فى عجلة من أمره ، ماذا يفعل هنا ؟ ليست زيارة اجتماعية إذن فلا بد أنها ذات علاقة بالعمل ، والذى يفسّر سلوك تونى النفسى إذن ما علاقة هذا بها ؟ .

" اجلسى ، اجلسى " قال تونى بينما يشير إليها بالجلوس فى الكرسى المجاور لجيمس ، فعبست كلير .

" أيجب ؟ " .

تجاهل تونى ذلك ولكن بنظرة جانبية لاحظت تعبير وجه جيمس الساخر لقولها .

" أهلاً ياكلير " قالها بصوت عميق بارد وهو يمد يده بالسلام لكلير ، ففزعت .

" ها " تلعثمت وهى تلقى بتحية قصيرة كلما أمكن ذلك ، ولكنها لازالت تشعر بصدمة للمس يدها يده ، جلست وهى غاضبة لارتعاش ساقيها .

تكاد تشعر به وهو يتطلع فيها بعينيه ذات الرموش السوداء الكثيفة وهو يضع يده بإهمال على ذراع الكرسى .

" كيف حالك ؟ " سألها جيمس وأجبرت على النظر إليه وهذا فقط من باب اللياقة ، " بخير " تمتم باختصار .

" هل فعلت أى شىء شيق منذ أن قابلتك آخر مرة ؟ " سألها فى صوت عميق هادئ " على ما أظن عندما تقابلنا آخر مرة تفاجأنا لاكتشافنا وجود معرفة مشتركة بيننا ؟ ".

كان تونى يبتسم موافقاً على الحديث المتبادل ، أعجب بالوئام المتبادل بينهما لحدٍ ما كان يعتقد بأن هذا يلقى بظلال سعيدة عليه .

" هل نحن كذلك ؟ ". سألته كلير ، متسعة العينين ، " لاأستطيع التذكر " ورجعت بانتباهها إلى تونى الذى تعمد تجاهلها، كان يتطلع إلى جيمس وهو يسأله إذا كان يحب كوب من القهوة وسعدت كلير لرفض جيمس ؛ لأن آخر شىء تريده الآن هو الذهاب إلى المطبخ لإعداد القهوة لجيمس فورستر .

" أعتقد بأننا يمكننا مناقشة أعمالنا الآن " قال تونى بصوت مستكين جعل كلير تضغط على أسنانها بغضب " على ما أعتقد الوقت ذو أهمية كبرى لديك " .

ضحك لذلك ثم وجه لها تقطيبة " كان بإمكاننا البدء منذ نصف ساعة لولا تأخرك " .

" لم أتأخر " قالت كلير " ساعات عملى هى ... " .

" نعم ، نعم ، حسناً . ها أنت هنا الآن ويمكننا البدء الآن " .

" كان يمكنكما البدء بدونى ، إنى لمتأكدة " قالت مشيرة إلى ذلك ببرود لصالح جيمس أكثر منه لصالح تونى ، بكلمات أخرى ، أرادت أن توضّح له عدم رغبتها بوجودها معه ، فهم معنى كلماتها بدون أن يطرف له جفن .

" على العكس " تشدّق بسلاسة " فلك جزء رئيسى فى عرضى " .

"فهمت " تمتمت محاولة فهم ما يجرى ، فهو يلعب لعبة ما . لم يكتف بتحطيم حياتها وكذلك لم يكتفِ بالتجسس عليها مع ستيفن والذى لربما قررت إقامة علاقة حب معه الآن يحاول التوغل فى عملها بوضع مخطط سخيف والذى بدون شك سيضيف إهانة إليها، ألا يمكنه تركها بمفردها ؟ هل هذه طريقته للردّ على تركها إياها ؟

www.elromancia.com

بالحضور إلى هنا ، وضعها فى موقف خضوع ، ماذا يمكنها أن تفعل ؟ تخاطر بمهنتها بالوقوف ورفضها التعامل معه ؟ بصعوبة ، لا ، ما عليها أن تفعله هو الجلوس هنا والضغط على أسنانها وسيسر كثيراً لهذا .

" وما هو عرضك ؟ " سألته ولم تحاول حتى التظاهر بالفضول فألقاها تونى بتقطيبة غاضبة .

"تفضل " قال وهو يهز رأسه لتونى الذى توهج كقطعة ساخنة.

" صفقة عمل رائعة " قال بتلميح " مستر فورستر .. " .

" ادعونى جيمس ، أرجوك ، سنعمل سوياً " .

" جيمس " قالها بلطف وكأنه قد منح ميدالية الشرف "عرض جيمس علينا حملة دعائية لإحدى فروعه الكبرى ، لوحات مضيئة ، مجلات ، جرائد ، كل ما يتعلق بالدّعاية " .

" حقاً ؟ " قالت كلير "هذا ممتع " شيء لا يصدقه عقل ، هذا ما قصدته بنبرة صوتها .

" لا أعتقد أنك تقدرين حجم تلك الفرصة " قال تونى محذّراً " لربما من الأفضل التحدث معك بالخارج يا كلير "؟

" ربما " قاطعه جيمس " من الأفضل أن أتحدث معها ، هل يمكنك إحضار بعض القهوة لنا من فضلك ؟ " .

ضحكت كلير مكرهة لنفسها ، سيكره بالتأكيد تونى هذا ، إحضار القهوة ؟ ولكنه سيفعل الآن العمل مع جيمس فورستر فرصة هائلة ، وقف ونظر محذراً إلى كلير التى هزّت رأسها ثم تركت المكتب بطاعة " مديرك غير معجب بك " قال جيمس بمجرد أن أغلق الباب من خلفه فضغطت على أسنانها .

" ماذا تفعل هنا ؟ " .

" كنت أظن هذا شديد الوضوح ، أحضرت بعض الأعمال لتونى " .

" لم لا تتركنى بمفردى ؟ " .

" أعتقد أن العمل قد يساوى الكثير من المال " ، قالها كما لو أنها لم تتكلم " وانظرى إلى عندما أتحدث إليك " .

" أم ماذا ؟ " قالتها وهى تنظر إليه .

" هذا أحسن ، أكره الحديث إليك ، هل رأيت ستيفن - هذا هو اسمه ، أليس كذلك ؟ - منذ أن تحدثنا آخر مرة ؟ " .

" نعم ، هذا ليس من شئونك " الآن وهى تنظر إليه ، لاتستطيع إبعاد عينيها عنه ، هذا مثل رجل جائع وجد طبقاً مملوءاً بالطعام الشهى الجاهز لتناوله ، أخذت تتطلع إلى جزء منه ، جلسته المستريحة بالكرسى ، ملامحه القاسية لوجهه الوسيم ، النظرة الساخرة لعينيه الرائعتين .

" وهل ذكرتى له نوع السمعة التى تلازمه من نيويورك ؟ " " لم أفعل ، بأى حال هذا ليس له أى نوع من أى أهمية ؛ سيغادر لندن خلال بضعة أيام " .

" هل سيفعل ؟ " أخفض عينيه ثم نظر إليها " كيف تشعرين إزاء هذا ؟ فرصة ضائعة ؟ " .

" لا تكن مهيناً . لا أستطيع التصديق باقتحامك الطريق إلى هذا المكتب ، وتقود تونى إلى تصديق قصص خيالية عن عقود عمل ، هذا كله فقط لتحاصرنى " ، ألقاها بنظرة كأنها قد جنت فاستشاطت غضباً " لا تعطنى تلك النظرة البريئة " .

" لقد أثرتكِ ، أليس كذلك ؟ "هذا كان تعليقه الوحيد " مختلفة تماماً عن الفتاة اللطيفة التى .. " .

" هذا منذ زمن طويل مضى ! " قاطعته بينما احمرّت خجلاً.
" أنت لست عادلاً مع تونى ، يصدقك حقيقة ، يكاد يسبح فى السماء السابعة ، ماذا تعتقد بشعوره عندما تخبره بأننا لن نقوم لك بأعمال الدعاية ؟ لالوحات مضيئة ، لا مجلات ، لاجرائد ، لا شىء . فأنا أعرف بأنه لديك عقود دعائية " .

"وإذا ألغيتها ، فلم يقوموا بعملهم " . هز كتفيه فاتسعت عيناها .

سمعت دقة مترددة لتونى ثم دخل المكتب وهو يحمل صينية بها كوبان من القهوة وبعض البسكويت والذى وضعه باحترام فى طبق صينى صغير .

" هل شرح لك مستر فورستر - جيمس - ماذا يريد بالضبط ؟" سألها تونى وجلس بعد أن قدم كوب القهوة إلى جيمس الذى رفض البسكويت ، لاحظت كلير بأنه لم يقدم لها أى بسكويت وهذا يعتبر عاراً لشعورها القوى بالجوع .

" لم أعطها أى تفصيلات " قالها جيمس بسلاسة " فكرت بأن أترك هذا لك يمكنك إعطائها المعلومات الفنية أفضل منى ".

انتفخ تونى لهذا وبطاعة انخرط فى شرح تفصيلى للعقد وما هى المهام المكلفة بها .

" وأحسن جزء بها " أنهى كلامه وهو يقول مبتهجاً جذلاً " خاص بك على أية حال ، وهو أنك التى ستذهبين مع جيمس لعمل تلك التفاصيل ، وهذا سيعنى أسبوع أو أكثر خارج المكتب، ولكن هذا ليس به أية مشكلة " .

أخذ هذا منها لحظة لتفهم مايقوله تونى فجلست مستقيمة بكرسيها ، مندهشة .

" أذهب ؟ مع .. ؟ " .

" أنا .. " أخبرها جيمس بمرح " إلى باريس ، قامت سكرتيرتى بكل الإجراءات " .

كان تونى منشرحاً . ابتسامته واسعة لدرجة أن كلير ظنّت بأن وجهه سينقسم إلى اثنين .. ولكنها لم تسعد . جلست وهى تشعر بأنها محاصرة .

" لا يمكننى إهمال كل شىء أفعله الآن .. " احتجت بيأس ضعيف .

" تم منحك الإذن " ضحك تونى " بالإضافة إلى أنك على وشك الانتهاء من إعلان الدرجة أليس كذلك ؟ " .

هزّت رأسها موافقة بيأس ، أعطاها برأسه إشارة الاستحسان.

" ستذهبين بعد غد " أخبرها بينما يتفحصها جيمس بهدوء وصمت " أعتقد بأنه ليس لديك أية اعتراضات ؟ " .

" لربما لدى بعض الخطط " اعترضت بضعف ، فتطلّع فيها بنظرة غاضبة .

" بالطبع " أكمل تونى بشكل عملى الآن " أعتقد بأنك ستحتاجين إلى نوعية ملابس مختلفة عما اعتدتِ ارتدائه فى العمل " .

نظرت إلى بنطلونها والقميص ذى الأكمام القصيرة ، فلم ترتدى من قبل أى شىء غالٍ أو مبهرج حين حضورها إلى العمل .

" هذا كل ما أملك " قالتها بكل رضا " لربما من الأفضل أن تختار شخصاً يحل مكانى " .

"هراء " قتل الصوت البارد تلك الفكرة " اشترى لنفسك بعض الأشياء ، أضيفيها إلى فاتورة المصاريف " وقف فتبعه تونى بسرعة .

" حسناً " قالت وهى تنظر إلى تونى وهو يبحث عن كلمة بين أوراقه على مكتبه . " هل يوجد أى أوامر أخرى ؟ " قالتها باستهجان فابتسم بكسلٍ قائلاً .

" لا يوجد ما أتذكره فى الوقت الحالى " .

* * *

www.elromancia.com

الفصل الثامن

لم يكن لدى كلير أية فكرة عن كيف ستتمكن من التغلُّب على هذا، فهى عاقلة لتعرف بأنه لن يمكنها الخروج عن خطة باريس، على أية حال حتى لو تمكنت من اختلاق أى سبب ليمنع ذهابها إلى باريس لن يغفل هذا عن جيمس . تعرفه عن كثب ، عندما يصمم على فعل شيء ، يحرص على مراقبته حتى يتم .

اتصل بها ستيفن فى هذا اليوم وعند ذلك اكتشفت ميزة السفر إلى باريس .

"أنا آسفة " قالت بدفء بالغ لشعورها بالراحة لعدم حاجتها إلى الكذب على ستيفن لعدم مقابلته قبل رجوعه إلى أمريكا ، " لا أستطيع رؤيتك قبل رجوعك إلى أمريكا ، ستيفن ، لقد جاءنى عمل خارج البلاد " .

كان يبدو مندهشاً " جاءتك وظيفة فى الخارج ؟ هل يخطط القدر ضدنا ؟ " ضحكت على قوله وأصدرت صوتاً تمنت أن يبدو وكأنه تعاطفاً . " أين ستذهبين ؟ " سألها ، " باريس ، سأغادر بعد غد لشراء بعض الضروريات " . " باريس " قال بحسد " لطيف لقد ذهبت إلى باريس مرتين ، فى عمل بالطبع ولهذا لم أتمكن من زيارة الأماكن السياحية . أين ستقيمين ؟ " .

ترددت لبرهة ثم أعطته اسم الفندق ، إحدى الفنادق الغالية فأطلق صفيراً .

" عميل ثرىّ " قال فتمتمت موافقة .

" حسناً " تمتمت معتذرة " شاكرة لدعواتك بينما كنت هنا وأتمنى لك رحلة عودة سعيدة إلى نيويورك " .

" بالتأكيد ، بيبى " قال هذا ببرود .

فهزّت كتفيها . لا يوجد سبب لبروده فهى لم تخذله فلا يوجد ما يبرر هذا ، تناولا بعض الوجبات سوياً وهذا كل ما فيه .

كان لديها ارتياح غريب لاعتقادها بأنها لن تره مرة أخرى ، لا بد وأن جيمس وتصريحاته أثرا فيها ، الشك شىء فضولى غريب لقد زرع جيمس بذور الشك فيها من ناحية ستيفان مما جعلها تقلق .

فى الصباح التالى ، تسابقت كلير فى زيارة المحلاّت لتستطيع ما تريد شراءه قبل الرحلة إلى باريس ، أنّبها ضميرها على شرائها للقطع الغالية ولكن فعلت ذلك بناء على توصيات جيمس .

كادت الغيرة تقفز من عينى كارن عندما أخبرتها كلير عن المكان الذى ستذهب إليه الأسبوع القادم ومع من .

" باريس " رومانسية بإفراط " قالتها بنظرة مليئة بالذكريات مما جعل كلير تقطب جبينها .

" لا أعتقد هذا ، انها رحلة عمل " .

"عمل ؟ ها ، رومانسية بحروف مضيئة وبخاصة مع هذا الشخص الرّائع والذى يمكننى القتل من أجله " .

كارن صديقة جيدة لأنها لم تسأل عما حدث بينها وبين جيمس ولكن كلير تعرف بأنها لا بد وأن تكون فضولية ، " لابد وأنه واقع فى غرامك " قالت هذا مما جعل كلير تجيبها بمرارة، " بصعوبة " لا يمكن الوصول أو التأثير فى قلبه ، سخى غيور ولكن بالتأكيد لا يحبها ، غيرت الموضوع وتلك كانت نهايته ، ولكن بينما تسرع بين المحلاّت لتشترى ملابسها عرفت بأنها تختار الملابس التى تعجب جيمس ، بعد أن حزمت حقيبتها أدركت بأنها تركت وراءها كل ملابسها المريحة والتى لطالما سخرت منها أختها جاكى لارتدائها ، وبدافع من التهوّر ألقت بالفستان الذى ارتدته فى حفلة جاكى فى الحقيبة ، وأخذت توّنب نفسها ؛ لأنه لربما لن توجد الفرصة لترتديه ولربما يعتقد جيمس أنها ترتديه لتغريه به مرة ثانية ، فى الواقع ، فكرت إنه لربما يظن أنها تجهد نفسها الآن بين المحلاّت للعثور على ما يؤثر فيه .

غضبت وتضايقت من أفكارها ؛ لأنه لايزال بداخلها ما يجعلها تفكر فى كيفية مواصلة جذب جيمس إليها ، وإحساسها بأنه يفكر فيها دائماً ، تريد أن تفقده صوابه حتى وهى تحاول بيأس الابتعاد عنه ببرود وثقة بالنفس التى تظهرهما وهى بصحبته من المفترض

أن يتقابلا بمطار " هيثرو " فى موعد سابق تحديده، رأته بمجرد وصولها الصباح التالى كان مولياً ظهره إليها ووقفت تتطلع إليه وتتفحصه كان يتحدث إلى إحدى الفتيات فى مكتب الاستعلامات ، على وجهه تعبير ساحر مما جعلها تشعر بطعنة الغيرة وحاولت تذكير نفسها بما يجب عليها فعله ، وبعد أن تحكمت بغيرتها ، سارت حيث يقف وقالت ؛ أهلاً ثم أعطت جواز سفرها وتذكرتها إلى الفتاة والتى أخذتهما بإكراه لقطع حديثها الممتع مع جيمس .

التفت جيمس إليها فشعرت بقوة نظرته وكرر عليها ابتسمت ابتسامة عمل والذى قابلها بسخرية جافة .

" أرى أنك أخذت بنصيحتى فيما يتعلّق بالملابس " تمتم بلطف " لا يوجد مبرر لترتدى ملابس فاخرة هكذا لرحلة السفر " .

أعطتهما الفتاة تصريح السفر والتذاكر فسارا سوياً حاولت كلير وضع المسافة بينهما .

" أنا هنا للعمل " أشارت له " وافقت معك على حاجتى إلى نوعية مختلفة من الملابس " .

" حسناً ، تبدين مبهجة وإن كان أضاف بعض السنوات إلى عمرك " .

" شكراً " أجابت بحدة " أنت دائماً شديد الصراحة " . " كنت ذات مرة معجبة بتلك الصفة " .

ولازالت ، ولكنها لن تعترف له بهذا الآن ، ولهذا لم تجبه وأمضيا الوقت المتبقى بالمطار فى صمت ، صمت وفاق .

تخلت عن بعض سيطرة نفسها عندما حطّت الطائرة فى مطار " شارلزديجول " فى باريس ، انحنت للأمام بحماسة تنظر من النافذة ، فلم تحضر إلى باريس من قبل ، كانت باريس إحدى الأماكن التى تخطط لزيارتها بمجرد أن تستطيع توفير نفقات الرحلة ، سألها جيمس عدة مرات أن تذهب معه فى رحلات عمل خاصة به ولكنها رفضت لكونها مجرد مرافقه لرجل غنى على الرغم من أن جيمس سيغضب بشدة حين يعرف بأن هذا هو تفكيرها ، ولكن لحسن الحظ أن هذا لم يحدث ولربما فكر بها كامرأة جشعة تحب النقود الآن قال بكسل وكأنه يقرأ أفكارها :

" كان يمكننا الحضور إلى هنا من قبل سوياً " .

" لم أستطع ادخار نفقات السفر " أجابته وهى تبتعد بجسدها عنه .

" لم أكن لأحمّلك مصاريف سفرك " قالها بتقطيبة فى صوته .

" لا ولكننى كنت سأفعل هذا " .

" هل أخبرك أحد من قبل بأن كبرياءك اللعين هذا لن يذهب بك إلى مكان ؟ " .

www.elmenia.com

" إنك تعرف كل ما يتعلّق بالكبرياء " تمتمت مستديرة فى اتجاهه وهى ممتقعة الخدين " لهذا أنا هنا ، أليس كذلك ؟ لأننى طعنتك فى كبريائك عندما تركتك ، فصممت على إنقاذ كبريائك بإثبات قدرتك على إغرائى ؟ " .

تقابلا حاجباه بتقطيبة غضب " لست مطالباً بإثبات أى شىء لأى شخص " قال بتوتر .

" من تحاول خداعه ؟ أنا أعرفك ياجيمس فورستر . أعرف كيف يعمل عقلك " .

" وأنا كذلك أعرفك ، أعرف أنك مهما تقولين فلا زلت منجذبة إلى ، على الرغم من تصديقك كل ما يقوله عقلك عنى ، يمكننى القول ، بأن هذا كله سوء تفاهم ضخم " .

للحظة سرحت بخيالها ثم أدركت أنه يتحدث عن ستيفن وجهه محمل بعاطفة الغضب ثم خفض عينيه وقال بنعومة : " ولكن بالطبع تلك المشكلة الصغيرة تم إنهاؤها ، ألم تنته ؟ "

نظرت كلير إليه باندهاش " تم إنهاؤها ؟ كيف هذا ؟ فسر ما تقول " .

هز كتفيه وبدا للحظة غير مستريح " حسناً ، كما تقولين ، لن تجديه عند عودتك ، أليس كذلك ؟ "

" لماذا هذا الإحساس المفاجئ بالشك ؟ " نسيت أن تنظر من النافذة وركزت انتباهها على وجه جيمس .

" ليس لدى أية فكرة ، لماذا أنت هكذا ؟ ربما شىء فى طبيعتك " .

" ليس لديك أى يد فى رحيل ستيفن المفاجئ من لندن ، أليس كذلك ؟ " سألته وأطبق صمت كثيف لفترة طويلة ، " لا ، لايمكنه ، لا تستطيع " .

نظر إليها نظرة جانبية ثم استرخى فى كرسيه مغمض العينين .

" سألتك سؤالاً " .

" وعلى ما يبدو أجبت عليه بنفسك " .

" أحب أن أسمع الرد " قالت وهى محملقة فيه بتركيز كما فعلت مضيفة الطيران التى عبرت من جانبهم .

" حسناً ؟ " أصرّت .

" إذا يجب عليك أن تعرفى " قالها بتنهيدة غاضبة " لقد جذبت بعض الخيوط ، بما أنك ذكرت هذا الآن " .

ألقت كلير عليه نظرة قاتلة وقالت بغضب " لا أصدّق هذا ، كيف يمكنك أن تشك فى وضع هكذا ؟ " .

www.elromancia.com

" بسهولة " أجابها وعن قصد يسىء فهمها " أحد المديرين فى فرع.نيويورك متورّط فى خطأ فى البورصة ، ولهذا اشترط أن يأخذ مكانه هانكوك " .

شعرت بغليان الدم فى عروقها " هل أخبرك أحد من قبل كم أنت بغيض ؟ " أهانته إلا أنه أخذ يفكر ثم قال بدون أن يُبدى أى غضب مما جعلها تغضب أكثر " أنت فقط " .

" لا يمكنك التدخل فى شئون الناس هكذا " قالت بحدة " ماذا كنت تحاول أن تثبت من وراء ذلك ؟ بأنك قوى ؟ بأنك يمكنك إدارة حياة الآخرين كما يحلو لك ؟ " .

" كان هذا لصالحك " قال هذا وبدأ يشعر بالغضب التفت لينظر إليها أفضل مما جعل أعصابها ترتعش " لا يمكنك التعامل مع شخص مثل هذا ، فأنت لست ذات خبرة كافية " .

" يجب أن أرجع إلى لندن مباشرة " تمتمت كلير ، مرتبكة جداً لقوة تركيز نظرته .

" لا تستطعين " .

أوه ، أنا أعرف ذلك " قالت بغضب " فلست غبية إلى تلك الدرجة " .

" لا ؟ " أعطاها ابتسامة بطيئة كسُولة " انظرى كم استغرقك من الوقت لمعرفة نظام جهاز الإنذار بالقصر عندما عملت لدى " .

مضطربة أجابت بدفاع " هذا ليس مجرد جهاز إنذار بسيط ، بل هو جهاز رادار مبكر ، يحتاج إلى درجة عالية فى الرياضيات لفك رموزه " .

أعطاها ضحكة خبيثة والتى بذلت مجهوداً لتجاهلها " لا تمارسى عدم المبالاة معى " .

شعرت بارتياح عند هبوط الطائرة وركبوا التاكسى إلى فندقهم ، تكاد تخرج عينا كلير من المناظر التى تمر بهم .

من الواضح أن جيمس قد نزل من قبل فى نفس الفندق فلقد تم معاملته كزبون دائم وأخذ يتحدّث بالفرنسية مع موظف الاستقبال .

وعندما صعدا إلى غرفتيهما شعرت كلير براحة لم تتمكن من إخفائها عن جيمس .

" هل كنت تعتقدين بأننى سأحجز غرفة واحدة لنا ؟ " .

سألها بابتسامة خشنة " العالم مليء بالنساء الراغبات فىّ فلماذا أجبر نفسى على امرأة غير راغبة ؟ " .

" أنت شديد الإطراء يا جيمس " قالتها بدفاع " هذا هو الواقع ، صدقى أو لا تصدقى لست صادقة معى . لماذا يطلبن النساء دائماً الصراحة وعندما ينقلب الموقف يتهربن من قول الحقيقة ؟ " .

"هذا تعميم خاطئ " .

" هل هو كذلك ؟ " أشار لحامل الشنط بالانصراف بعد إعطائه بقشيشاً بالفرنكات ابتسم ابتسامة عريضة .

سألته كلير بتهور عن زوجته ، كيف تبدو ؟ كيف كانت تتصرف ؟ .

" وهو كذلك . تريدين أن تعرفى كيف كانت تبدو أوليفيا ؟ حسنا ، سأخبرك كانت مختلفة تماماً عنك " .

" ماذا تقصد بأنها مختلفة عنى تماماً " نظرت إليه وهمست بصوت ضعيف . ماذا يقصد ؟ ما الخطأ بى ؟ .

حملق بها ثم أنزل ذراعيه إلى جانبيه " كانت أوليفيا شديدة الثقة بالنفس " قال بخشونة ، " كانت امرأة ، متمدنة ، امرأة واثقة تعرف ما تريد وتحصل عليه " .

" وماذا عنىّ ؟ " .

" ماحدث بيننا كان خطأ وأدركت ذلك فى وقته ولكننى لم أستطع المقاومة " قال بصوت متهدّج .

أطبق الصمت لفترة ، شعرت كلير بغثيان أرادت أن تستند إلى الباب ولكنه أكمل .

" أنت بالنسبة لى مثل المخدر " ذهب الغضب الأسود من عينيه وجاء مكانه عاطفة قوية أخرى تعرفها .

" لن تجرؤ على ... " بدأت قائلة إلا أنه اقترب منها محاولاً تقبيلها إلا أنها صفعته بقوة فرجع للخلف غاضباً " أيتها الحمقاء الصغيرة " .

" إذن ، أنا مثل المخدر بالنسبة لك ، أليس كذلك ؟ إذن يجب أن تتخلصى منى وأحسن علاج لهذا هو الصدمة " .

ضحك لها بينما نظرت إليه بغضب " يمكننا الحديث عن العمل هنا . سنغادر الفندق بعد حوالى الساعة هل يناسبك هذا ؟ لم أحدد موعدًا محددًا مع مدير الإدارة ولكن أخبرته بحضورنا . "

" تكفينى الساعة " قالت هذا وهى تتطلع إلى خدّه التى صفعته " هل سأقابلك فى مدخل الفندق بأسفل ؟ " قالت هذا وقد تحركت اتجاه غرفة نومها وهى تغلق الباب بإحكام بينهما حتى يمكنها تحرير جسدها من التشنّج الذى حل به .

غيرت ملابسها بعد أن أخذت حمّامًا سريعًا أرتدت تايورًا يصل إلى الركبة ويؤكد خصرها النحيل .

لم يعلق جيمس على ملابسها ولكن مدير الإدارة الذى تقابلا معه أخذ يطرى على جاذبيتها بفرنسية سريعة مما جعلها تنظر إلى جيمس مستفسرة فأجابها بأنها مجاملة .

مضى باقى اليوم فى هوجة من النشاط وذلك بعد أن رتّبت جيمس مقابلة لها مع المدير المالى ثم مدير التسويق الذى أخذها فى جولة لرؤية المنتجات ، طريقة التصنيع والمظاهر التى يريدانها فى الحملة الدعائية .

www.elromancia.com

مرّ باقى اليوم فلم تدر بمضى الوقت إلا حين نظرت بالساعة وتفاجأت بأنها الخامسة ، كان رأسها يطن بالأفكار التى تخطط لمناقشتها مع مدير التسويق فى اليوم التالى ، كانت مشغولة البال عندما حضر جيمس لأخذها ، قرأت نظرة التسلية على وجهه فردت على ابتسامته قائلة " لقد كان يوماً ممتعاً " هزّ مدير التسويق رأسه ثم تحدث إلى جيمس بالفرنسية فأنصتت كلير بشغف إلى كلام جيمس بالفرنسية .

فى طريق الخروج إلى السيارة سألته " كيف حال خدك ؟ " .

" لا شىء " ألقاها بنظرة جانبية " يمكنك علاجه إذا أردت ".

"يمكنك ذكر هذا إلى مدير الفندق لربما يرتب لك أحداً يمكنه القيام بذلك " .

بعد وصولهما إلى الفندق افترقا بعد أن حددا موعد للمقابلة لتناول العشاء بعد حوالى الساعة .

" يمكننا اكتشاف باريس قليلاً قبل تناول الطعام "أخبرها بينما تلمع عيناه الخضراوان فأجابته ببرود ؛ " كما تحب " لا يجب عليها الاحتداد دائماً لأى اقتراح يقترحه .

لم يكن لديها أية فكرة عما يجب أن ترتديه فأرادت أن تبدو متمدنة وجميلة فجذبت من الدولاب الفستان الذى ارتدته فى حفلة أمها .

كان جيمس يسيطر على تفكيرها وكيف ستحمى نفسها منه حتى أسرعت فى ارتداء ملابسها .

وبعدما انتهت من وضع مكياجها سمعت دقاً على الباب فاعتقدت أنه جاء مبكراً عن موعده نصف الساعة ، فتحت الباب لتفاجأ بوجود ستيفن أمامها .

" أنت " قالت " ماذا تفعل هنا ؟ " رجعت للخلف مندهشة مما جعل ستيفن يظن بأنها تدعوه للداخل ؛ لأنه دخل وأخذ ينظر حوله متأثراً .

" كنت أعرف أن تلك الغرف تبدو لطيفة " وهو يلمس بأصابعه الأثاث " ولكن كل هذا يطيح بالعقل " .

" لطيف جداً " وافقته كلير وهى تنظر إليه بعصبية "ماذا تفعل هنا بحق السماء ؟ " .

" ما نوع هذا السؤال ؟ ألست مسرورة لرؤيتى ، بيبى ؟ " .

نظرت إليه بقلق . آخر شخص توقعت رؤيته على عتبة غرفتها هو ستيفن .

جلس فقالت له "أنا آسفة ، إنّى فى طريقى لتناول العشاء بالخارج " .

" عشاء مع العميل ؟ " سألها ، فهزّت رأسها موافقة " شيئاً من هذا القبيل " .

" رجل محظوظ " تفحصها بنظرة وقحة " أعرف هذا الفستان نفس الفستان الذى ارتديته فى حفلة أختك ، أليس كذلك؟ لم أستطع إبعاد عينى عنك حينئذ . لا تعرفين كم تبدين مغرية فى هذا الشىء الصغير " .

لم تعجب كلير بالطريقة التى يتحدث بها وكذلك لم تهتم به على الإطلاق .

" نعم .. حسناً .. " قالت وهى تتساءل ، ربما من الأفضل الذهاب إلى غرفتها وإغلاق الباب عليها ، " من اللطيف رؤيتك مرة ثانية ، "كذبت " ولكن إذا لم تمانع فيجب أن تذهب الآن لارتباطى بموعد " .

" سأمانع ؟ " .

" آسفة ؟ " .

" عندى مانع أن أغادر . لقد استثمرت فيك الكثير من الوقت وكذلك مبلغ ضخم من المال . على الأقل أتوقع منك رد حسن الضيافة " .

أحسّت بتوتر واضطراب وفكّرت كيف تهرب من هذا المأزق ، حاولت تضليله .

" كم مضى عليك من الوقت لحضورك هنا ؟ " سألته محاولة لجانب الودّى .

" ليس طويلاً ، بضع ساعات " .

" فى عمل ؟ " .

" لايوجد على الإطلاق متنفّس قبل البدء فى العمل الكبير " ، ضم قدميه عند الكعب ويمد رجليه من أمامه .

" كم هو لطيفاً لك هذا " قالت بأدب " وهل حضرت مع أحد ؟ " .

" أوه ، لا لقد حضرت خصيصاً لك " .

ربما من الأفضل أخذ أى معنى سيئ من وراء كلامه لربما تحاول بطريق آخر للتفاهم معه .

" حسناً ، لربما غداً " قالت بحزم " إذا كنت لا تزال بالمدينة ، يمكننا ... " .

" ليس غداً ، يا كلير " قال هذا ويقف " الآن وبعد أن قطعت كل تلك المسافة وأنا أشعر بأحاسيس أتمنى أن تشاركينى بها " .

تحرّك باتجاهها فاتسعت عيناها من الاضطراب . " أعتقد بأنى وضحت موقفى من البداية معك " قالت بصوت عال وواضح .

" ولكن لماذا تخرجين بصحبتى إلا إذا كان جزء منك يريد ما هو أكثر مجرد الحديث بيننا أو تناول الطعام ؟ " وقف أمامها الآن وهو يمسك بذراعيها . الذى تلى ذلك هو كابوس حقيقى لكلير . لقد أخذت تقاومه وتبعده عنها حتى شعرت بالمخدر فى كل أطرافها وأخذت تشعر بالعتمة تطبق عليها من جميع أنحاء الغرفة .

www.elromancia.com

فجأة شعرت بوجود جيمس فى الغرفة ، يهجم على ستيفن ويشبعه ضرباً وركلاً ليرميه خارج الغرفة ، شعرت بغثيان وخجل من جيمس فأخذها بين ذراعيه وهو يهدئ من روعها .

" لا بد أنك مسرور من إثبات صحة كلامك ، أليس كذلك ؟ " قالت هذا متلعثمة وهى ترتجف مما جعله يضمها أكثر إلى جسده .

" لا يمكنك أن تعتقدى هذا بى " قالها بصوت متهدّج مما جعلها تدرك من تبدل المشاعر ، من الغضب الأعمى إلى العاطفة الملتهبة .

بعد مضى وقت طويل قالت كلير : " أنت تعرف بأنك كسبت ، أليس كذلك ؟ " .

" مكسب ؟ خسارة ؟ هذه ليست بلعبة " تمتم وهو يشدها إلى جواره " إذا كنت أستطيع تقديم الزواج لك وأضمن لك نجاحه لفعلت " .

" بالنسبة لك لن تعيد التجربة " سألته بخفة .

" ماذا تريدين منّى أن أقول رداً على هذا ؟ لقد ناقشنا كل هذا من قبل ، ألم نفعل ؟ لقد سبق الزواج لى مرة وانتهى نهاية حزينة وليست لدى النية فى تكرار التجربة ، فأنا مغرم بك بشدة حتى أعرضك للألم . "

" وماذا تعتقد عن شعورى الآن ؟ " سألته بألم .

" اللعنة عليك يا كلير . أنت رومانسية ، هل تعتقدين بأنّى لم أعرف هذا ؟ تعتقدين فى النهاية لكل علاقة ، تريدين معرفة كل شىء حسناً سأخبرك " تركها ليشعل سيجارة وهو يتجول بالغرفة كالنمر الجريح بينما تنظر إليه بترقُّب . وبعد مضى بعض الوقت قال بخشونة " كما تعرفين كيف تقابلنا أنا وأوليفيا وكيف انتهى الأمر بزواجنا بعد أن أخبرتنى بحملها ، وبعد زواجنا اكتشفت كذبها وكنت أنا الزوج المخدوع إلا أننا من جديد حاولنا إنجاح زواجنا إلا أننى انشغلت عنها بتكوين ثروتى والعمل على نجاح أعمالى مما جعلنى أتغيب عن المنزل لفترات طويلة خلال تلك الفترة أقامت أوليفيا العديد من العلاقات مع العديد من الرجال ، وبالطبع الزوج آخر من يعلم ، اكتشفت أوليفيا خلال تلك الفترة أنها حملت سفاحاً من أحد أصدقائها الرجال والذى تصادف أنه متزوجاً وأثناء هروبهما سوياً ليلاً فى ليلة ممطرة اصطدمت سيارتها بلورى ضخم فماتت أوليفيا فى الحال بينما نجا صديقها ببعض الخدوش ، فأخبرنى بما كان بينهما ، فكتمت الأمر ولكنّى كذلك صممت على عدم الارتباط بأية امرأة أخرى ليحدث لها ما حدث مع أوليفيا ، عملى وغيابى الطويل تسببا فى تحطيم زواجنا ثم فى تحطيم أوليفيا نفسها " .

كان الألم واضحاً فى أسارير وجهه وهو يرجع بذكرياته للوراء ، قامت من السرير مقتربة منه .

" لم يكن هذا خطؤك بمفردك ، لقد كنتما تبنيان مستقبلكما سوياً، لم تكن تلهث وراء الملذات أو التفاهات مثلما فعلت أوليفيا، استطعت تحقيق امبراطورية كبيرة ، فلا تلق باللوم على نفسك".

" كلير ، أنا أحبك ، لم أستطع التخلىّ عنك عندما تركتينى ، لم أعرف أنه حب ، ظننته ، رغبة قوية تجاهك ، كنت أشتاق إلى حديثك ، حضورك ليس مجرد قلبك بل كيانك بأكمله " .

" بالطبع تعرف بأنى أحبك ، منذ اللحظة الأولى لمقابلتنا فى قصر فريلتون . كنت تعتقد بأنه افتتان طفلة صغيرة ، الآن جيمس ، هل تقبل الزواج منى " .

ضحك جيمس بابتهاج إلا أنه تركها مبتعداً فظنت رفضه لها فوجمت فرأته يلتقط جاكتة البدلة حيث رماها على الأرض منذ قليل وأخرج علبة مجوهرات صغيرة فتحها فرأتها تحتوى على خاتم مكوّن من فص كبير من الماس يتماشى لونه مع عينيها الزرقاوين ، ركع جيمس أمامها وأمسك بيديها وكل خلجات وجهه تنطق بالحب الرائع وقال بصوت متهدّج .

" هل تقبلين الزواج منى يا كلير هاربر ؟ " .

اكتفت كلير بالابتسامة بينما تضمه بذراعيها .